حدائق الأنوار

ومطالع الأسرار

في سيرة النبي المختار ﷺ
وعلى آله المصطفين الأخيار

تأليف

وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد
المشهور بابن الديبع الشيباني الشافعي

تحقيق

عبد الله إبراهيم الأنصاري

الجزء الأول

المكتبة المكية
السعودية

الطّبعة الثانية

١٤١٣هـ ~ ١٩٩٣م

المكتبة المكيّة

حيّ الهجرة - مكّة المكرّمة - السّعوديّة - هاتف وفاكس : ٥٣٤٠٨٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

اللهم لك الحمد ، وفقتنا لعمل البر ، فسبحانك سبحانك ، لا نحصي ثناءً عليك ، وصلاة ربي وعظيم تسليماته على سيدنا محمد بن عبد الله ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ليوم الدين .

وبعد : فبعونه – تعالى – تمت الطبعة الثانية لكتاب « **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار** » ﷺ لمؤلفه « **ابن الديبع الشيباني** » . رحمه الله ولما لهذا الكتاب من عظيم الأثر في السيرة النبوية ، وحيث قمنا في طبعته الأولى بتحقيق مخطوطاته على أمهات كتب السيرة النبوية ، وإخراجه لحيز الوجود ، فلقد لاقى من القبول والأهمية ، وتكرار الطلب عليه حتى نفذت جميع نسخه ومازال الطلب يتوالى علينا من الجامعات والهيئات العلمية في العالم الإسلامي .

لذلك بادرت إدارة إحياء التراث الإسلامي – بدولة قطر – بإعادة طبعه بعد إرشادات وتوجيه **صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني** – حفظه الله – لها وحثه لنشر العلم ، وتقديم أجلّ الخدمات للعلم والمتعلمين .

وكما قمنا في هذه الطبعة ،بتصحيح جميع جداول الخطأ والصواب ، وإثبات جميع الاستدراكات في أمكنتها بدقة وأمانة ، رغبة في إكمال العمل الصالح وبالجهد المستطاع ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

نسأل الله – تعالى – التوفيق والسداد وأن يجزل الأجر والثواب لنا ولمؤلفه ولمن ساهم بإخراجه وتصحيحه وطبعه إنه خير مسؤول وأعز مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الخميس غرة ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

الموافق ١٦ كانون الأول ١٩٨٢م.

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

مدير عام

إدارة إحياء التراث الاسلامي

بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

حمداً لك اللهمَّ على ما هديت ، وصلاةً وسلاماً على رسولك « المصطفى محمد بن عبد الله » وعلى آله وصحبه .

لقد كان للعناية الفائقة التي أولاها صاحب السمو « الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني » أمير قطر المفدّى في عهده المبارك الميمون النهضةَ العلميةَ ، والاهتمام بالشؤون الثّقافيّة ، ورعايةَ علوم القرآن والسنة النبويّة أكبرُ الأثر على هذا البلد الطيّب الكريم . فَعَزَّزَ بفعاله المجيدة، وأياديه البيضاء القدرات ، ووطّدَ دعائمَ المجتمع ، ورفع منار العرفان ، وثبّتَ معالمَ الحضارة ، وحقّقَ التقدّمَ والازدهارَ في شتّى مناحي الحياة في ربوع « قطر » الفتيّة .

وما هذه الصُّروحُ العلميّة الّتي أنشأها سموُّه في «قطر»،وما وعنايتُه ببناء المدارس، وإقامة المعاهد ، وفتح دور الكتب ، وإنشاء الكليات للتأهيل والتخصُّص ، ما هي إلاّ الخطوات الرَّصينة السَّديدة الأولية على طريق إقامة « جامعة » تؤهّلُ لجميع الاختصاصات ، وتنبثق عنها إشعاعاتُ المعرفة على العالم ، مذكرةً بأمجاد علمائنا الأوائل الأبرار ، الذين كان لهم على العالَم فضل السبق ، بأبحاثهم المبتكرة ، واختراعاتهم العجيبة .

وما من شكّ ،في أنَّ العلمَ هو الّذي يُعطي البلدَ مزيّةَ التقدّم، وهو الّذي يدفعُ عنهُ آثارَ الجهل والتخلّف ، وهوَ الّذي يَمنَحُهُ الرُّسوخَ والقوّة .

وتمشياً مع هذه الخطة الحكيمة ، فقد أولى سموُّه نشرَ تراث الأجداد جانباً من اهتماماته ، فشجّع على نشر التراث،وأسهَمَ فيه بماله الحلال ،تنشيطاً للعاملينَ في هذه الميادين ، وساعدَ على نشر عدد من أمّهات الكتُب .

وليس لي بعد ما ذكرتُ إلاّ أن أُنَوّهَ أنّ نشرَ كتاب « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » ما هوَ إلاّ أحد أعمال سُمُوِّه المبرورة ، فجزاه اللهُ خيراً عمّا أنفق ، وأجزلَ له الأجرَ والثواب ، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾ واللهُ المستعان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

المحقق
الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة عامة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .

أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا كِتَابُ « حَدَائِقِ الأَنْوَارِ وَمَطَالِعِ الأَسْرَارِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ - ﷺ - وَعَلَى آلِهِ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ » . صَنَّفَهُ مُحَدِّثُ « اليَمَنِ » وَمُؤَرِّخُهَا ، وَمُحْيِي عُلُومِ الأَثَرِ بِهَا « وَجِيهُ الدِّينِ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ الشَّهِيرُ بِابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ ، العَبْدَرِيِّ الزَّبِيدِيِّ ، الشَّافِعِيِّ » ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ م) .

اقْتَفَى « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ سَنَنَ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ « عُلَمَاءِ السِّيَرِ وَالمَغَازِي » ، فَوَضَعَ هَذَا الكِتَابَ فِي وَقْتٍ كَثُرَ فِيهِ التَّأْلِيفُ فِي « السِّيرَةِ » ، وَكَانَتْ مُصَنَّفَاتُ المُحَدِّثِينَ وَأَصْحَابِ المَسَانِيدِ فِي « السِّيرَةِ » تَحْظَى بِالقَبُولِ وَتَحْظَى بِالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْلَى هَذِهِ الكُتُبِ صِحَّةً وَأَصَالَةً ، وَأَحْسَنَهَا تَأْلِيفاً ، وَأَصْدَقَهَا ، وَأَبْعَثَهَا عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ . وَكَانَتْ مُؤَلَّفَاتُ الأَخْبَارِيِّينَ وَأَصْحَابِ المَلاحِمِ لا تَرْقَى إِلَى المَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنَالُهَا مُؤَلَّفَاتُ المُحَدِّثِينَ . وَذَلِكَ لأَنَّ المُحَدِّثِينَ كَانُوا لا يَنْقُلُونَ إِلاَّ عَنِ الأَثْبَاتِ مِنَ الرُّوَاةِ ، وَلا يُدْخِلُونَ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ إِلاَّ مَا صَحَّ عِنْدَهُمْ مِنَ الأَخْبَارِ ، وَلا يَأْخُذُونَ إِلاَّ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْ ذِكْرِ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ ، وَيَرْفُضُونَ رِوَايَاتِ الكَذَّابِينَ وَالوَضَّاعِينَ . وَكَانَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » وَاحِداً مِنْ أُولَئِكَ المُحَدِّثِينَ ، فَقَدِ الْتَزَمَ فِي مُصَنَّفِهِ فِي السِّيرَةِ بِكُلِّ قَوَاعِدِ هَذَا العِلْمِ فِي انْتِقَاءِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ

وَهوَ مَنْ عُرِفَ بِعُلُوِّ الشَّأْنِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ ، وَيَكْفِيهِ تَقْدِيراً أَنَّهُ صاحِبُ « تَيْسِيرِ الْوُصُولِ إِلى جَامِعِ الأُصُولِ مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ » الَّذِي أَسْدَى فِي مُخْتارَاتِهِ إِلى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ يَداً لاَ تَزَالُ بَرَكَتُهَا شَامِلَةً مَا دَامَ فِي النَّاسِ عَقْلٌ يُقَدِّرُ فَضْلَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَمَا دَامَ فِي الأَرْضِ مَنْ يَقُولُ : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » (١) .

اخْتَارَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي سِيرَتِهِ نُبْذَةً كَافِيَةً شَافِيَةً ، لَخَّصَهَا مِمَّا صَحَّ مِنَ الأَخْبَارِ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالآثَارِ ، مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » أَوْ أَحَدِهِمَا ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الأُصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ ، كَالسُّنَنِ الأَرْبَعَةِ ، لأَبِي دَاوُدَ » وَ « التِّرْمِذِيِّ » وَ « ابْنِ مَاجَةَ » وَ « النَّسَائِيِّ » وَكَـ « مُوَطَّأِ الإِمَامِ مَالِكٍ » .... وَأَخْذاً بِمَا تَقَدَّمَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : « إِنَّ كِتَابَ « ابْنِ الدَّيْبَعِ » فِي السِّيرَةِ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ كُتُبِ الْمُحَدِّثِينَ الَّتِي تَأْخُذُ بِالصَّحِيحِ مِنَ الأَحَادِيثِ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الأَخْبَارِ » .

أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَهَمِّيَّةِ كُتُبِ السِّيرَةِ وَفَضْلِهَا فَإِنَّنَا لاَ نُجَاوِزُ الْحَقِيقَةَ عِنْدَمَا نَقُولُ : « إِنَّ كُتُبَ السِّيرَةِ وَالْمَغَازِي هِيَ مِنْ أَعْلَى الْكُتُبِ مَنْزِلَةً وَأَكْرَمِهَا مَوْضُوعاً ، وَأَحْلاَهَا أَخْبَاراً ، وَأَنْدَاهَا عَلَى الْقُلُوبِ رَوْحاً وَذِكْراً ، وَقَدْ فَطِنَ لِذَلِكَ « الذَّهَبِيُّ » فَأَنْزَلَهَا الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِهَا عِنْدَمَا أَخَذَ فِي تَصْنِيفِ الْمُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ فُنُونٍ ، فَأَعْطَى فَنَّ السِّيرَةِ الأَوْلَوِيَّةَ فِي تَصْنِيفِهِ الَّذِي عَدَّدَ فِيهِ أَرْبَعِينَ فَنّاً تَنْتَهِي فِي مَوْضُوعِهَا إِلى عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَدْخُلُ فِي حَيِّزِ الْمُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ (٢) .

وَقَدْ تَوَجَّهَتْ عِنَايَةُ الْمُؤَرِّخِينَ وَعُلَمَاءِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ لِلتَّأْلِيفِ فِي فَنِّ السِّيرَةِ ، وَالتَّصْنِيفِ فِيهَا . « وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَوْضُوعَ الَّذِي تُعَالِجُهُ « السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ » لَيْسَ بِالأَمْرِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى التَّجَارِبِ ، وَلَيْسَ هُوَ بِالْفِكْرَةِ الَّتِي يُقِيمُهَا بُرْهَانٌ وَيَنْقُضُهَا بُرْهَانٌ ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي النَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَطْرَأُ عَلَيْهَا التَّجْدِيدُ وَالتَّغْيِيرُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ عِمَادُهُ النَّقْلُ وَالرِّوَايَةُ (٣) » مِنْ حَيْثُ

---

(١) « تيسير الوصول — مقدمة الناشر : ١/ (د) » .

(٢) انظر : « الإعلان بالتَّوبيخ لِمَنْ ذَمَّ التاريخ : ١٥٠ — ١٥٤ » .

(٣) « سيرة ابن هشام : ١ — مقدمة الناشرين — : ٦ » .

المَبْدَأُ ؛ إلاَّ أنَّ علَماءَ فقهِ السِّيرَةِ ، والفُقَهاءَ والأُصُولِيِّينَ استَنْبَطُوا منَ السِّيرَةِ وحَوادِثِها الأحكامَ الشَّرعيةَ والقَوانينَ الدَّوليَّةَ . واستَمَدَّ علَماءُ الأخلاقِ منْ أخلاقِ « الرَّسُولِ » – ﷺ – وتَصَرُّفاتِهِ المَثَلَ الأعلَى لِمَا يَجِبُ أنْ يَكُونَ علَيْهِ المُسْلِمُ منَ الخُلُقِ السَّامي . واقتَبَسَ البُلَغاءُ منْ جَوامِعِ كَلِمِهِ – ﷺ – الفِقَرَ النَّفِيسَةَ ، والحِكَمَ السَّديدَةَ ، وتَأدَّبَ الأُدَباءُ بِأدَبِ « المُصْطَفَى » وأحادِيثِهِ ، ورِوايَةِ أخْبارِهِ ومَغازِيهِ ، ولِقَائِهِ معَ وُفُودِ العَرَبِ وخُطَبائِهِمْ .

وهَكَذَا فَالسِّيرَةُ يُنْبُوعٌ ثَرٌّ فَيَّاضٌ ، يُغْدِقُ الخَيْرَ ويَعُمُّ بِهِ الإنسانيَّةَ عَلَى اختِلافِ مَشارِبِها ومَنازِعِها .

يَقُومُ فَنُّ « السِّيرَةِ » أوِ « المَغازِي » علَى عَرْضِ حَياةِ « الرَّسُولِ » – ﷺ – بِذِكْرِ الأخْبارِ الَّتِي تُرْوَى عَنْهُ – ﷺ – بِالرِّوَاياتِ المُسْنَدَةِ ، مُرَتَّبَةً علَى السِّنِينَ ، بِحَسَبِ وُقُوعِ الحَوادِثِ الَّتِي تُشِيرُ إلَيْهَا الأحاديثُ أوِ الأخْبارُ .

ويَبْدُو أنَّ لفظَةَ « السِّيرَةِ » كانَتْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ أنْ يَسْتَخْدِمَها « ابنُ هِشامٍ » بِمَعْنَى «سيرةِ النَّبيِّ» ﷺ عِنْدَمَا جَعَلَها علَماً علَى مُخْتَصَرِهِ لِكِتابِ «ابْنِ إسْحاقَ» والخَبَرُ التَّالِي الَّذِي ذَكَرَهُ « أبُو الفَرَجِ الأصْفَهانِيُّ » في « الأغاني » يُؤَيِّدُ ذلكَ :

[« قالَ «المَدائِنِيُّ» في خَبَرِ «خالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيِّ» – وأخْبَرَنِي «ابْنُ شِهابِ بْنِ عَبْدِ اللهِ » قالَ : قالَ لِي « خالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيُّ » : « اكْتُبْ لِي النَّسَبَ » « فَبَدَأْتُ بِنَسَبِ « مُضَرَ » . فَمَكَثْتُ فيهِ أيَّاماً ، ثُمَّ أتَيْتُهُ ، فَقالَ : « ما صَنَعْتَ ؟ » فَقُلْتُ : « بَدَأْتُ بِنَسَبِ « مُضَرَ » ومَا أتْمَمْتُهُ » فَقالَ : « اقْطَعْهُ قَطَعَهُ اللهُ معَ أُصُولِهِمْ (يُرِيدُ : « بَنِي أُمَيَّةَ ») واكْتُبْ لِي في « السِّيرَةِ » . فَقُلْتُ لَهُ : فَإنَّهُ يَمُرُّ بِي الشَّيْءُ مِنْ « سِيَرِ عَلِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ » – صَلَوَاتُ اللهِ علَيْهِ – فَأذْكُرُهُ ؟ ! » فَقالَ : « لا ، إلاَّ أنْ تَراهُ فِي قَعْرِ « الجَحِيمِ »] (١) .

وإنَّ لَفْظَةَ « المَغازِي » كانَتْ شائِعَةَ الاسْتِعْمالِ قَبْلَ أنْ يَكْتُبَ « الواقِدِيُّ »

---

(١) « الأغاني : ١٩ : ٥٩ » .

كِتَابَهُ « المَغَازِي » وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ « ابْنُ كَثِيرٍ » فِي « كِتَابِهِ : « الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » فَقَالَ : [« وَهَذَا الْفَنُّ مِمَّا يَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِ ، وَالاعْتِبَارُ بِأَمْرِهِ ، وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ ، كَمَا رَوَاهُ « مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ » عَنْ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ » عَنْ أَبِيهِ : « سَمِعْتُ « عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ » يَقُولُ : « كُنَّا نُعَلَّمُ « مَغَازِي « النَّبِيِّ » — ﷺ — كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ « الْقُرْآنِ »] [1] .

[وَقَالَ « الْوَاقِدِيُّ » : « وَسَمِعْتُ « مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ » يَقُولُ : « سَمِعْتُ عَمِّي « الزُّهْرِيَّ » يَقُولُ : « فِي عِلْمِ المَغَازِي عِلْمُ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا »] [2] .

وَيُسْتَفَادُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ لَفْظَتَيْ « المَغَازِيَ » وَ « السِّيَرَ » إِذَا أُطْلِقَتَا ، فَالمُرَادُ بِهِمَا عِنْدَ مُؤَرِّخِي المُسْلِمِينَ تِلْكَ الصَّفْحَةَ الأُولَى مِنْ « تَارِيخِ الأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ » صَفْحَةُ الْجِهَادِ فِي إِقَامَةِ صَرْحِ الإِسْلاَمِ وَجَمْعِ الْعَرَبِ تَحْتَ لِوَاءِ الرَّسُولِ « مُحَمَّدٍ » — عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ — وَمَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ نَشْأَةِ « النَّبِيِّ » وَذِكْرِ آبَائِهِ ، وَمَا سَبَقَ حَيَاتَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ لَهَا صِلَةٌ بِشَأْنِهِ ، وَحَيَاةِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَبْلَوْا مَعَهُ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ ، وَحَمَلُوا رِسَالَتَهُ فِي الْخَافِقَيْنِ .

وَظُهُورُ « الرِّسَالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ » أَعْظَمُ حَادِثٍ فِي تَارِيخِ « الْعَرَبِ » خَاصَّةً وَالْبَشَرِ عَامَّةً » [3] .

وَهَكَذَا أَصْبَحَ مِنَ الثَّابِتِ فِي الأَذْهَانِ وَالرَّاسِخِ فِيهَا أَنَّ لَفْظَةَ « السِّيرَةِ » إِذَا جِيءَ بِهَا مُفْرَدَةً مُعَرَّفَةً قُصِدَ بِهَا بِذَلِكَ تَخْصِيصاً « السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ » أَيْ : تَارِيخُ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » — ﷺ — مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى وَفَاتِهِ ، مَعَ ذِكْرِ آبَائِهِ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَصَحَابَتِهِ ، فَضْلاً عَنْ ذِكْرِ خِصَالِهِ — عَلَيْهِ السَّلاَمُ — وَأَحْوَالِهِ ، وَعَادَاتِهِ ، ثُمَّ الأَحْدَاثُ المُرْتَبِطَةُ بِالدَّعْوَةِ ، كَالْوَحْيِ وَالْهِجْرَاتِ ، وَالْغَزَوَاتِ وَالْوُفُودِ »[4].

---

(١) و (٢) « البداية والنهاية : ٣ / ٢٤٢ » .

(٣) « سيرة ابن هشام : ١ — مقدمة الناشرين : ٣ » .

(٤) القاموس الإسلامي : ٣/٢٩٥ » .

وَأَمَّا لَفْظَةُ « المَغَازِي » فَإِنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي مِنْ حَيْثُ وَضْعُهَا اللُّغَوِيُّ [«الْحُرُوب» وَالْغَزَوَاتِ » . ثُمَّ تَخَصَّصَ مَعْنَاهَا فَصَارَتْ تَعْنِي « الْحُرُوبَ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا « الرَّسُولُ » - ﷺ - وَصَحَابَتُهُ بِالْقِتَالِ . وَلَكِنَّ هَذَا الاسْمَ تَدَرَّجَ فِي الزَّمَنِ ، فَاتَّسَعَ مَعْنَاهُ وَشَمَلَ تَارِيخَ حَيَاةِ « النَّبِيِّ » - عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَمِيعِهَا . وَأُرَجِّحُ أَنَّهُ فِي تَوَسُّعِهِ الأَوَّلِ شَمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » فِي « المَدِينَةِ » وَحْدَهَا ، لأَنَّهَا مُدَّةُ الْجِهَادِ الْحَرْبِيِّ ، الَّذِي سَايَرَ قِيَامَ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ . فَهَذِهِ المُدَّةُ مِنْ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - مُزْدَحِمَةٌ بِهَذِهِ الْحَمْلَاتِ عَلَى « قُرَيْشٍ » ، وَ « الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ » وَ « الْيَهُودِ » ثُمَّ مَنْ سَكَنَ « أَطْرَافَ الشَّامِ » وَخَضَعَ « لِلرُّومَانِ » مِنَ « الْعَرَبِ » . وَلِذَلِكَ لَا يَبْعُدُ المَرْءُ كَثِيراً إِذَا سَمَّاهَا مُدَّةَ المَغَازِي . ثُمَّ اتَّسَعَ اللَّفْظُ حَتَّى شَمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » بِأَكْمَلِهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا « كَانَتِ المُدَّةُ المَدَنِيَّةُ » مُدَّةَ الْجِهَادِ الْحَرْبِيِّ ، فَإِنَّ « المُدَّةَ المَكِّيَّةَ » كَانَتْ مُدَّةَ الْجِهَادِ السِّلْمِيِّ ، فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ سِرّاً ثُمَّ جَهْراً . وَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ اتَّسَعَ هَذَا اللَّفْظُ ، فَصَارَ يَعْنِي « سِيرَةَ « النَّبِيِّ » - ﷺ - كُلَّهَا »] [1] .

وَنَعْلَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ [« أَنَّ اللَّفْظَتَيْنِ - « السِّيرَةَ » وَ « المَغَازِيَ » - مُسْتَعْمَلَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ ، لَا يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا ، فَقَدْ ذَكَرَ « ابْنُ كَثِيرٍ » « سِيرَةَ ابْنِ إِسحاقَ » وَقَالَ : « قَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَغَازِي » [2] . عَلَى أَنَّ كُلّاً مِنَ اللَّفْظَتَيْنِ مُضَلَّلٌ ،بِحَيْثُ أَنَّ مَوْضُوعَ اللَّفْظَةِ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِسِيرَةِ « النَّبِيِّ » عَلَى الإِطْلَاقِ فِي الْحَالَةِ الأُولَى ، وَلِمَغَازِيهِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ »] [3] .

نَشَأَ التَّأْلِيفُ فِي السِّيرَةِ خِلَالَ أَيَّامِ التَّابِعِينَ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لِلتَّأْلِيفِ مَنْهَجٌ كَامِلٌ يَقْتَفِيهِ المُصَنِّفُ . وَقَد ابْتَدَأَ التَّأْلِيفُ بِجَمْعِ شَذَرَاتِ الأَخْبَارِ وَالْتِقَاطِهَا

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها - مقدمة المترجم : ط - ي » .

(٢) « البداية والنهاية : ٣/٢٤٢ - ٢٤٣ » .

(٣) « كتاب المغازي - للواقدي : ١ - مقدمة التحقيق : ١٩ » .

مِنْ رُوَاتِهَا مِما كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ تُدْنِيهِ مِنْ أُولَئِكَ النَّاسِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إلى « النَّبِيِّ » — ﷺ — أَوْ أَصْحَابِهِ وَنَقَلُوا عَنْهُ الأَخْبَارَ الَّتِي سَمِعُوهَا وَحَدَّثُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ الَّتِي شَهِدُوهَا ، وَأَخْبَرُوا عَنِ الأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلُوهَا وَوَافَقَهُمُ « الرَّسُولُ » — ﷺ — عَلَيْهَا .

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ السِّيرَةَ ، أَوَّلَ مَا نَشَأَتْ ، كَانَتْ [« أَحَادِيثَ فِي مَجَالِسِ الخاصَّةِ ، تُدَارحَوْلَ مَغَازِي « رَسُولِ اللهِ » — ﷺ — ، فَيَسْأَلُ بَعْضُ الوُلاَةِ أَوِ الأَعْيَانِ فِي الأَمْصَارِ الكُبْرَى الإِسْلاَمِيَّةِ « كَالْمَدِينَةِ » وَ « دِمِشْقَ » عَالِماً مِمَّنِ اشْتَهَرَ بِالْحِفْظِ والرِّوَايَةِ :

— « كَيْفَ كَانَتْ « غَزَاةُ بَدْرٍ ؟ » أَوْ — مَنِ الَّذِينَ شَهِدُوا هَذِهِ الْغَزَاةَ ؟ » أَوْ — « مَا عَدَدُهُمْ ؟ » .

فَيُحَدِّثُ الْعَالِمُ الْقَوْمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ ، مُسْنِداً الْحَدِيثَ إلى مَنْ أَفَادَهُ إِيَّاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الأَحَادِيثُ ، أَحْيَاناً ، تَفْسِيراً لِبَعْضِ الآيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ شَيْئاً مِنْ تَارِيخِ الْوَقَائِعِ وَغَزَوَاتِ «النَّبِيِّ»— ﷺ —، «كَيَوْمِ بَدْرٍ»، أَوْ «يَوْمِ أُحُدٍ» أَوْ « يَوْمِ حُنَيْنٍ » . وَكَانَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الرُّوَاةِ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ فِي جُمْلَةِ الأَخْبَارِ وَتَفْصِيلِهَا ، أَوْ فِي دِقَّةِ الإِسْنَادِ ، عَلَى حَسَبِ المَصَادِرِ الَّتِي أَمَدَّتْهُ .

ثُمَّ تَقَدَّمَتِ السِّيرَةُ خُطْوَةً إِذْ دَوَّنَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الْحُفَّاظِ ، وَكُلُّهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، مَا وَرِثُوهُ رِوَايَةً عَنْ أَسْلاَفِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَكَانَ الْبَادِئُ بِهَذَا « أَبَانَ بْنَ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ » ثُمَّ « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » ، وَهُمَا مِنْ أَبْنَاءِ « أَشْرَافِ الْعَرَبِ » وَكُبَرَائِهِمْ ، فَمَكَّنَتْهُمَا قَرَابَتُهُمَا مِنْ « رَسُولِ اللهِ » — ﷺ — أَنْ يَجْمَعَا مِنَ الأَخْبَارِ وَالأَسَانِيدِ مَا لَمْ يَجْمَعْ غَيْرُهُمَا ؛ وَلِذَلِكَ يُمْكِنُ عَدُّهُمَا مُؤَسِّسَيْ تَارِيخِ السِّيرَةِ فِي الإِسْلاَمِ ؛ ثُمَّ تَوَاتَرَ الْكَاتِبُونَ فِيهِ بَعْدَهُمَا مِنْ أَمْثَالِ : « شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ » ، وَ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » ، وَ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ » ،

وَ « عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ » ، ثُمَّ « الزُّهْرِيِّ » وَتَلامِيذِهِ الَّذِينَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ شَأْناً « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ » – صَاحِبُ « السِّيرَةِ » المَشْهُورَةِ »] [1] .

ابْتَدَأَ التَّأْلِيفُ فِي « السِّيرَةِ بَادِيءَ الأَمْرِ بِتَدْوِينِ أَخْبَارِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي مَجَالِسِ الخَاصَّةِ ، وَمَا دُوِّنَ لَهُمْ مِنْ رَسَائِلَ ، أَوْ كُتِبَ لَهُمْ مِنْ أَخْبَارٍ ، وَقَدِ اقْتَصَرَ الأَمْرُ لَدَى بَعْضِهِمْ عَلَى تَدْوِينِ أَخْبَارِ المَغَازِي ، وَانْصَرَفَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ لِتَدْوِينِ « أَخْبَارِ المَبْعَثِ » أَوِ « الوَحْيِ » ، وَذَهَبَ آخَرُونَ فَكَتَبُوا عَمَّا لاقَاهُ – ﷺ – فِي « مَكَّةَ » قَبْلَ « الهِجْرَةِ » ، وَذَهَبَ غَيْرُهُمْ فَكَتَبُوا فِي « تَارِيخِ الهِجْرَةِ » وَكَيْفَ كَانَتْ إلخ . . . . . » .

وَلَمَّا اسْتَفَاضَ عَدَدُ تِلْكَ الرَّسَائِلِ وَالمُدَوَّنَاتِ ، اسْتَفَادَ الرُّوَاةُ وَالمُحَدِّثُونَ فِي ضَمِّ المَعْلُومَاتِ الَّتِي يُتَمِّمُ بَعْضُهَا بَعْضَهَا الآخَرَ ، وَأَفْضَى الأَمْرُ إِلَى رَسْمِ مَنْهَجِ التَّأْلِيفِ فِي السِّيرَةِ عَلَى نَحْوٍ عِلْمِيٍّ سَدِيدٍ اقْتَفَى أَثَرَهُ مُصَنِّفُو السِّيَرِ فِيمَا بَعْدُ .

[« وَغَنِيٌّ عَنِ القَوْلِ أَنَّ أَقْوَالَ « النَّبِيِّ » – ﷺ – وَأَعْمَالَهُ كَانَ لَهُمَا أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَى إِبَّانَ حَيَاتِهِ ، وَأَهَمِّيَّةٌ أَكْبَرُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَقَدْ أَوْجَبَتْ هَذِهِ الأَهَمِّيَّةُ العِنَايَةَ الشَّامِلَةَ بِتَدْوِينِ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ ، وَبِجَمْعِ الأَحَادِيثِ وَالأَخْبَارِ عَنْهُ . وَلَمْ يَكُنِ الدَّافِعُ لِهَذِهِ العِنَايَةِ وَالاهْتِمَامِ التَّقْوَى وَحْدَهَا فَحَسْبُ ، وَلَكِنَّ حَاجَةَ المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ إِلَى إِرْسَاءِ وَتَثْبِيتِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالأَحْكَامِ التَّشْرِيعِيَّةِ هِيَ الحَافِزُ الأَسَاسِيُّ لَهُمَا »] [2] .

وَبِالرُّغْمِ مِمَّا عُرِفَ عَنْ تَخَصُّصِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي عِلْمَيِ المَغَازِي وَالسِّيَرِ [« ذَكَرَ « ابْنُ سَعْدٍ » عَنْ « أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ » أَنَّهُ تَخَصَّصَ فِيهِمَا ، وَقَدْ أَخَذَ « المُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » عَنْهُ بَعْضَ الأَخْبَارِ . وَلَكِنَّهُ مَعَ الأَسَفِ لَمْ يَصِلْنَا أَيُّ كِتَابٍ وُضِعَ فِي عَهْدِ « الصَّحَابَةِ » فِي « المَغَازِي » وَ « السِّيَرِ »] [3] .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها – تصدير – : هـ – و » .

(٢) « المغازي – للواقدي – مقدمة التحقيق – : ١/١٩ – ٢٠ » .

(٣) « المغازي – للواقدي – مقدمة التحقيق – : ١/٢٠ » .

وَذَكَرَ « ابْنُ سَعْدٍ » فِي تَرْجَمَةِ « المُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » أَنَّهُ : « كَانَ ثِقَةً ، قَلِيلَ الْحَدِيثِ ، إِلاَّ مَغَازِي « رَسُولِ اللهِ » – ﷺ – أَخَذَهَا مِنْ « أَبَانَ بنِ عُثْمَانَ » ، فَكَانَ كَثِيراً مَا تُقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرُنَا بِتَعْلِيمِهَا » (١) .

وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى تَرَاجِمِ أَعْلامِ الْبَاحِثِينَ فِي السِّيرَةِ « الأَوَائِلِ» وَأَنْ نَسْتَعْرِضَ الأَعْمَالَ الأُولَى الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ .

إِنَّ التَّرَاجِمَ الَّتِي وَصَلَتْنَا عَنْ هَؤُلاءِ الأَعْلامِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ « أَبَانَ بْنَ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ » وَكَانَتْ أُمُّهُ « أُمَّ عَمْرٍو بِنْتَ جُنْدُبٍ » (٢) ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اشْتَهَرَ بِمَعْرِفَةِ « المَغَازِي » مَعْرِفَةً دَقِيقَةً ، وَهُوَ مِمَّنْ وُلِدَ قَبْلَ سَنَةِ (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) لاَ بَعْدَهَا ، وَالمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، وَهُوَ مِنْ رُوَاةِ الْحَدِيثِ الثِّقَاتِ ، وَمِنْ فُقَهَاءِ « المَدِينَةِ » أَهْلِ الْفَتْوَى . وَدَوَّنَ مَا سَمِعَ مِنْ أَخْبَارِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالمَغَازِي ، وَسَلَّمَهَا إِلَى «سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ » فِي حَجِّهِ سَنَةِ (٨٢ هـ/٧٠١ م) فَأَتْلَفَهَا «سُلَيْمَانُ»(٣). « وَلَيْسَتِ « المَغَازِي » الَّتِي رَوَاهَا « المُغِيرَةُ » عَنْ « أَبَانٍ » كِتَاباً بِالمَعْنَى الدَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَخْبَارِ المُتَعَلِّقَةِ بِسِيرَةِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – ؛ وَيَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَنَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ المَجْمُوعَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا كَانَتْ تُمَاثِلُ الصَّحَائِفَ وَالْكُتُبَ المَذْكُورَةَ آنِفاً » (٤) .

وَذَكَرَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » عِنْدَ ذِكْرِ « المَغَازِي » فَقَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ فِيهَا : « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » – وَجَمَعَهَا « وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ »– (٥) ، وَهُوَ أَخُو « عَبْدِ

---

(١) « طبقات ابن سعد : ٥/١٥٥ – ١٥٦ »

(٢) « تاريخ الطبري : ٤/٣٠٥٦ »

(٣) « الأعلام ١/٢٧ »

(٤) « المغازي الأولى ومؤلفوها ٦ »

(٥) « كشف الظنون : ٢/١٧٤٦ ١٧٤٧ »

اللهِ بْنِ الزَّبَيْرِ » وَأُمُّهُمَا « أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » . وَكَانَتْ وِلادَته سَنَةَ : (٢٢ هـ/٧١٢ م) . وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فِي « المَدِينَةِ » . وَكَانَ عَالِماً بِالدِّينِ ، صَالِحاً كَرِيماً ، لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ » [١] . وَتُفِيدُنَا رِوَايَةُ « الطَّبَرِيِّ » : [« أَنَّ « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » كَتَبَ إِلَى « عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » أَخْبَاراً عَنْ فَجْرِ الإِسْلاَمِ قَالَ : « حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا « أَبَانُ الْعَطَّارُ » قَالَ : « حَدَّثَنَا « هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ » عَنْ « عُرْوَةَ » ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى « عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ – يَعْنِي « رَسُولَ اللهِ » – ﷺ – : لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لِمَا بَعَثَه « اللهُ » مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ ، الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُدُوا أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيتَهُمْ الخ »] [٢] .

[« وَيَشْتَهِرُ « عُرْوَةُ » شُهْرَةً كَبِيرَةً بِمَعْرِفَتِهِ « الحَدِيثَ » ، وَقَدْ مَكَّنَتْهُ إِقَامَتُهُ « بِالمَدِينَةِ » مِنَ الإِلْمَامِ بِكَثِيرٍ مِنَ الأَخْبَارِ عَنِ الأَيَّامِ الأُولَى مِنَ الإِسلامِ خَاصَّةً ، عَرَفَهَا مِنْ وَالِدِهِ « الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ » وَمِنْ أُمِّهِ « أَسْمَاءَ » وَعَنْ « عَائِشَةَ » – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا ، وَكَانَ لاَ يَقْطَعُ زِيَارَتَهَا وَسُؤَالَهَا »] [٣] .

[وَقَدْ رَوَى ابْنُهُ « هِشَامٌ » أَنَّ أَبَاهُ « عُرْوَةَ » أَحْرَقَ كُتُبَهُ فِي الْفِقْهِ فِي « يَوْمِ الْحَرَّةِ » سَنَةَ (٦٣ هـ/٦٨٣ م) ، وَقَدْ حَزِنَ عَلَى فَقْدِهَا فِيمَا بَعْدُ »] [٤] .

[« وَلَمْ يَقْتَصِرْ « عُرْوَةُ » عَلَى تَلْقِينِ تَلاَمِيذِهِ الأَخْبَارَ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَنِ الثِّقَاتِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ ؛ بَلْ دَوَّنَ مَعْلُومَاتِهِ عَنْ حَوَادِثِ الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ « الإِسْلاَمِ »

---

(١) « الأعلام : ٢٢٦/٤ » .

(٢) « تاريخ الطبري : ٣٢٨/٢ » .

(٣) « المغازي الأُولَى وَمُؤَلِّفُوهَا : ١٨ » .

(٤) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ١٩ » .

وَوَصَلَ إِلَيْنَا بَعْضُ رَسَائِلِهِ المُدَوَّنَةِ فِي كُتُبِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الْوَاقِدِيِّ » وَ « الطَّبَرِيِّ » [1]] [2] .

[« وَيُخْبِرُنَا ابْنُهُ « هِشَامٌ » أَنَّ « عُرْوَةَ » لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ قَطُّ مِن بِرَأْيِهِ » .] [3]

[« وَتَأْخُذُ أَقْدَمُ « سِيَرِ النَّبِيِّ » الَّتِي بِأَيْدِينَا جُزْءاً كَبِيراً جِداً مِنْ مَادَّتِهَا مِنْ مَجْمُوعَاتِهِ »] [4] .

[« وَمِنَ الْحَقِّ أَنَّ الإِسْنَادَ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ عَادَةً فِي عَصْرِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ضَرْبَةَ لازِبٍ . أَضِفْ إِلى ذَلِكَ أَنَّ « عُرْوَةَ » رَجَعَ أَيْضاً إِلَى وَثَائِقَ مَكْتُوبَةٍ ، فَيَذْكُرُ مَثَلاً نَصَّ الرِّسَالَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا « النَّبِيُّ » – ﷺ – لأَهْلِ « هَجَرٍ » . وَتُعْنَى الأَخْبَارُ المَرْوِيَّةُ عَنْ «عُرْوَةَ» بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ حَيَاةِ «النَّبِيِّ» – ﷺ – »] [5] .

[« أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بالسَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا « عُرْوَةُ » ، فَلَيْسَ يُوجَدُ خَبَرٌ يَقِينِيٌّ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ الثِّقَاتِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ عَامَ (٩٤ هـ /٧١٢ م) . وَقَدْ مَاتَ فِي « مُجَاحٍ » بِجِوَارِ « الْفُرْعِ »] [6] .

وَمِمَّنْ يُذْكَرُ فِي تَارِيخِ المَغَازِي ، مَعَ « أَبَانٍ » وَ « عُرْوَةَ » « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ » – مَوْلَى « بَنِي خَطْمَةَ » المَدَنِيِّينَ – وَيُقَالُ : « إِنَّهُ عَرَفَ «عَلِيّاً» المُتَوَفَّى سَنَةَ (٤٠ هـ/٦٦١ م) وَمَاتَ « شُرَحْبِيلُ » عامَ (١٢٣/٧٤٠ م) وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى المِائَةِ [« وكَانَ عَالِماً بِالمَغَازِي وَالْبَدْرِيِّينَ ، وكَانَ يُفْتِي وَيَرْوِي الْحَدِيثَ . وَفِي رِوَايَتِهِ ضَعْفٌ »] [7] .

---

(١) « انظر : « تاريخ الطبري : ٣٢٨/٢ ، ٣٧٥/٢ ، ٣٨١/٢ ، و ٥٥/٣ ، ٧٠/٣ » الخ . . . » .

(٢) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ١٩ » .

(٣) و (٤) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٣ » .

(٥) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٣ — ٢٤ » .

(٦) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ١٨ » .

(٧) « الأعلام : ١٥٩/٣ » .

[« ويَرْوِي « ابْنُ حَجَرٍ » الخَبَرَ التَّالي : « كَانَ « شُرَحْبِيلُ » « أَبُو سَعْدٍ » عَالِماً بِالمَغَازِي، فَاتَّهَمُوهُ بأنه يُدْخِلُ فِيهِم مَنْ لَمْ يَشْهَدْ « بَدْراً »، وَفِيمَنْ قُتِلَ يَوْمَ « أُحُدٍ » مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ، وكَانَ قَدِ احْتَاجَ فَسَقَطَ عِنْدَ النَّاسِ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ « مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ » ، فَقَالَ : « وَإِنَّ النَّاسَ اجْتَرَؤُوا عَلَى هَذَا ؟ فَدَبَّ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ ، وَقَيَّدَ مَنْ شَهِدَ « بَدْراً » وَ « أُحُداً » وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى « الْحَبَشَةِ » وَ« المَدِينَةِ » وكَتَبَ ذَلِكَ » .

وَيَدُلُّ هَذَا الْخَبَرُ بِوُضُوحٍ عَلَى أَنَّ كَاتِبَ الْقَوَائِمِ هُوَ « مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ » لا « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ »] (١) .

[« وَذَكَرَهُ « ابْنُ حِبَّانَ » بَيْنَ الثِّقَاتِ » . وَلاَ يَرْوِي عَنْهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » أَوِ « الْوَاقِدِيُّ » شَيْئاً . أَمَّا « ابْنُ سَعْدٍ » (٢) فَيَأْخُذُ عَنْهُ خَبَراً عَنْ « هِجْرَةِ « النَّبِيِّ » مِنْ « قُبَاءَ » إِلَى « المَدِينَةِ » . وَلاَ يَذْكُرُ « شُرَحْبِيلُ » فِي هَذِهِ الْفِقْرَةِ أَيَّ إِسْنَادٍ». وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ لَمْ يَقْصُرْ نَفْسَهُ عَلَى « المَغَازِي » بِالمَعْنَى الْخَاصِّ»] (٣)

وكَانَ « أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ » وَ « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » وَ « شُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ » مِنْ أَبْنَاءِ « المَدِينَةِ » ، فَقَضَوْا حَيَاتَهُمْ فِيهَا .

أَمَّا « وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ » فَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ السِّيرَةِ غَيْرِ« المَدَنِيِّينَ » [وَهُوَ يُعَدُّ فِي « التَّابِعِينَ » ، كَانَ مِنْ جَنُوبِ « بِلاَدِ الْعَرَبِ » ، وَهُوَ مِنْ أَصْلٍ فَارِسِيٍّ ، مِنْ إِحْدَى الأُسْرَاتِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي جَنُوبِ

---

(١) « المغازي الأولى وَمُؤَلِّفُوهَا : ٢٦–الحاشية (١) نقلاً عن « ابن حجر في : «تهذيب التهذيب– – طبع الهند – ١٠ : ٣٦١ » . و « تعليق الدكتور حسين نصار حَوْلَ الخبر » .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد : ١٦٠/١ » .

(٣) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٧ » .

« بِلادِ الْعَرَبِ » فِي الْعُصُورِ الْجَاهِلِيَّةِ ، تَحْتَ حُكْمِ « كِسْرَى أَنُوشَرْوَانَ » وَعُرِفُوا بِالأَبْنَاءِ »] (١) ،

وَقَدْ أَوْرَدَ « الزِّرِكْلِيُّ »(٢) تَرْجَمَتَهُ « عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: [« وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ الأَبْنَاوِيُّ ، الصَّنْعَانِيُّ ، الذِّمَارِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ » وَنَعَتَهُ بِأَنَّهُ مُؤَرِّخٌ كَثِيرُ الأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ ، عَالِمٌ بِأَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ . وُلِدَ فِي « صَنْعَاءَ » سنة : (٣٤ هـ = ٦٥٤ م) وَمَاتَ فِيهَا سَنَةَ : (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) »] .

[وَيُقَالُ : « إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْلٍ يَهُودِيٍّ ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ أَكْثَرُ « الإِسْرَائِيلِيَّاتِ» الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَرَبِيَّةِ . . . . كَانَ يُتْقِنُ « الْيُونَانِيَّةَ » وَ « السُّرْيَانِيَّةَ » وَ « الْحِمْيَرِيَّةَ » وَيُحْسِنُ قِرَاءَةَ الْكِتَابَاتِ الْقَدِيمَةِ الصَّعْبَةِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى قِرَاءَتِهَا »] (٣) .

[« وَكَانَ يَقُولُ : سَمِعْتُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ كِتَاباً كُلُّهَا أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ، اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي الْكَنَائِسِ ، وَعِشْرُونَ فِي أَيْدِي النَّاسِ ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ قَلِيلٌ ، وَوَجَدْتُ فِي كُلِّهَا أَنَّ مَنْ أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئاً مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ » . . . . . « وَاتُّهِمَ بِالْقَدَرِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ . وَيُقَالُ أَلَّفَ فِيهِ « كِتَاباً » ثُمَّ نَدِمَ عَلَيْهِ . وَحُبِسَ فِي كِبَرِهِ وَامْتُحِنَ »] (٤) .

[وَيُعْرَفُ « وَهْبٌ » فِي الْمَصَادِرِ بِأَنَّهُ ثِقَةٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ رَوَى عَنِ « ابْنِ عَبَّاسٍ » وَ « جَابِرٍ » وَ « أَبِي هُرَيْرَةَ » وَغَيْرِهِمْ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يُقْبِلِ الرُّوَاةُ عَلَى الأَخْذِ عَنْهُ إِلاَّ فِي النَّادِرِ ، بِخِلاَفِ غَيْرِهِ مِنْ تَابِعِي « الْمَدِينَةِ » ؛ وَقَدْ نَقَلَ « الْبُخَارِيُّ » حَدِيثاً يَرْوِيهِ « وَهْبٌ » عَنْ أَخِيهِ « هَمَّامٍ » عَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٢٧ » .

(٢) « الأعلام : ١٢٥/٨ — ١٢٦ » .

(٣) « تاريخ العرب قبل الإسلام : ٨٤/١ — نَقْلاً عَنْ « إرشادِ الأريب : ٢٣٢/٧ » .

(٤) « الأعلام : ١٢٥/٨ — ١٢٦ » .

وَيَخْتَلِفُ « وَهْبٌ » عَنِ « المَدَنِيِّينَ » فِيمَا يَلِي :

ـ أَنَّهُ يُعْنَى عِنَايَةً خَاصَّةً بِأَحَادِيثِ أَهْلِ الكِتَابِ ؛ وَقَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِي مَوْضُوعِ « مَغَازِي وَهْبٍ » يَجِبُ أَنْ نُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى الكِتَابَاتِ الأُخْرَى المَنْسُوبَةِ لَهُ ، وَالَّتِي تُعْنَى خَاصَّةً بِتَارِيخِ « أَهْلِ الكِتَابِ » ، أَوْ تَارِيخِ وَطَنِهِ « اليَمَنِ » .

وَتُؤَيِّدُ مَعْرِفَةُ « وَهْبٍ » الدَّقِيقَةُ بِأَحَادِيثِ أَهْلِ الكِتَابِ بِالرِّوَايَاتِ القَائِلَةِ إِنَّهُ قَرَأَ الكَثِيرَ مِنْ كُتُبِهِمْ المُقَدَّسَةِ . وَإِنَّنَا نَجِدُ مُوقِنِينَ أَنَّ « وَهْباً » عَرَفَ مَا تحويه كُتُبُ « اليَهُودِ » وَ « المَسِيحِيِّينَ » المُقَدَّسَةُ ، عَنْ طَرِيقِ صِلاَتِهِ بِاليَمَنِيِّينَ مِنْ « أَهْلِ الكِتَابِ » ؛ الَّذِينَ كَثُرَ عَدَدُهُمْ فِي جَنُوبِ « بِلاَدِ العَرَبِ » ؛ وَيُوَافِقُ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ « وَهْبٍ » مَا فِي المَصَادِرِ اليَهُودِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ تَمَامَ المُوَافَقَةِ ، وَيُخَالِفُهَا فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ . وَتَشْمَلُ أَخْبَارُهُ جَمِيعَ مَيْدَانِ أَحَادِيثِ الأَنْبِياء وَالعُبَّادِ وَأَحَادِيثِ « بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وَتَبْعُدُ جَمِيعُ كِتَابَاتِ « وَهْبٍ » الآنِفَةِ عَنِ « المَغَازِي » ؛ وَلَكِنَّنَا إِذَا فَهِمْنَا لَفْظَةَ المَغَازِي بِمَعْنَاهَا العَامِّ ، كَمَا يَنْبَغِي ، طِبْقاً لاسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي الأَيَّامِ الأُولى مِنَ « الإِسْلاَمِ » ، وَتَوَسَّعْنَا فِيهَا لِتَشْمَلَ حَيَاةَ « النَّبِيِّ » جَمِيعَهَا ، فَإِنَّ كِتَابَاتِ « وَهْبٍ » هَذِهِ تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ البَحْثِ ، لأَنَّهَا مَدْخَلٌ إِلَى « سِيرَةِ النَّبِيِّ » ، كَمَا تَرْتَبِطُ بِالرِّسَالاَتِ قَبْلَ « مُحَمَّدٍ » ـ ﷺ ـ .

وَيَقُولُ « حَاجِي خَلِيفَةَ » عَنْ « وَهْبٍ » إِنَّهُ جَمَعَ « المَغَازِي » ؛ وَلَكِنَّ « وَهْباً » لاَ يُذْكَرُ فِي كُتُبِ السِّيرَةِ القَدِيمَةِ مَعَ رُوَاةِ « سِيرَةِ النَّبِيِّ » ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَوْلُ « حَاجِّي خَلِيفَةَ » صَحِيحٌ »)[1] .

[« وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ « النَّبِيِّ » عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » إِلاَّ القَلِيلُ ، وَقَدْ وَجَدَ « بِيكِر » « C. H. Becker » قِطْعَةً صَغِيرَةً كُتِبَتْ عَلَى « البَرْدِيِّ فِي مجموعَةِ سكوت رينهارت « Papyri Schott Reinhardt 8 » ذَكَرَ فِيهَا بَيْعَةَ العَقَبَةِ »] [2] .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٣٠ ـ ٣٤ » .

(٢) « المغازي ـ للواقدي ـ مقدمة التحقيق ـ ٢٢ ـ » .

وَقَدْ رَوَى « ابْنُ إِسْحَاقَ » عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ » خَبَرَ ابْتِدَاءِ وُقُوعِ النَّصرَانِيَّةِ « بِنَجْرَانَ » فِي حَدِيثِهِ عَنْ « فَيْمِيُونَ » وَ « صَالِحٍ » وَنَشْرِ النَّصْرَانِيَّةِ « بِنَجْرَانَ » وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي « سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : ٣١/١ – ٣٤ » .

« قَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » : « حَدَّثَنِي « المُغِيرَةُ بْنُ أَبِي لَبِيدٍ » – مَوْلَى الأَخْنَسِ – عَنْ « وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ اليَمَانِيِّ » أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ مَوْقِعَ ذَلِكَ الدِّينِ « بِنَجْرَانَ » الخ . . . . . » وَقَالَ فِي نِهَايَةِ الخَبَرِ : « قَالَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » : فَهَذَا حَدِيثُ « وَهْبِ ابْنِ مُنَبِّهٍ » عَنْ « أَهْلِ نَجْرَانَ » .

ثُمَّ تَلاَ ذَلِكَ مَرْحَلَةٌ أُخْرَى فِي تَطَوُّرِ السِّيرَةِ ارْتَقَى شَأْنُهَا عَلَى أَيْدِي : « عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ » المُتَوَفَّى سَنَةَ : (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) .

وَ « مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ » المُتَوَفَّى سنة: (١٢٤ هـ = ٧٤٢ م) [١] .

وَ « عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيِّ : المُتَوَفَّى عَلَى قَوْلِ « ابْنِ حَجَرٍ » سَنَةَ : (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) ، وَيُقَالُ سَنَةَ : (١٣٠ هـ/٧٤٧ م) .

وَقَالَ « ابن العِمَادِ الحَنْبَلِيُّ » وفيهَا : عَلَى الأَصَحِّ يَعْنِي سَنَةَ : (١٣٥ هـ) كَانَتْ وَفَاةُ « عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيِّ المَدَنِيِّ » [٢] .

أَمَّا «عَاصِمٌ» فَقَدْ تَرْجَمَهُ « ابْنُ العِمَادِ الحَنْبَلِيُّ » بِقَوْلِهِ : « عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيُّ » ، شَيْخُ « مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ » ، وَنَعَتَهُ بِأَنَّهُ : « كَانَ أَخْبَارِيّاً ، عَلاَّمَةً « بِالمَغَازِي » يَرْوِي عَنْ « جَابِرٍ » وَغَيْرِهِ [٣] .

وَذَكَرَهُ « ابْنُ قُتَيْبَةَ » فَقَالَ : « فَهُوَ صَاحِبُ المَغَازِي وَالسِّيَرِ » [٤] .

---

(١) قال « ابنُ خلِّكَانَ » : « تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثّلاثاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (١٢٤ هـ)،وقيلَ (١٢٣ هـ) وقيل (١٢٥ هـ) » « وَفيات الأعيان : ١٧٨/٤ » .

(٢) « شذرات الذهب : ١٩٢/١ » .

(٣) « شذرات الذهب : ١٥٧/١ » .

(٤) « المعارف : ٤٦٦ » .

[«ويُخبِرُنا «ابنُ سعْد» أنّ «عاصِماً» «وفَدَ علَى«عُمرَ بْنِ عبْدِ العَزِيز» فقضَى دَيْنَهُ ، وأمَرَهُ أنْ يَجلِسَ فِي مَسْجِدِ « دِمَشْقَ » فيُحدِّثَ النَّاسَ بِالمَغازِي ومَنَاقِبِ الصَّحابَةِ ؛ فَفَعَلَ ، ثُمَّ رَجَعَ إلَى « المَدِينَةِ »] (1) .

وَ [« عاصِمٌ » أحَدُ رُوَاةِ « ابنِ إسْحاقَ » وَ « الوَاقِدِيِّ » ، وهُمَا مُتَفَرِّدَانِ فِي « المَغَازِي » بِالمَعْنَى الخاصِّ ، ولَكِنَّهُ عُنِيَ أيْضاً بِتفَاصِيلِ قِصَّةِ شبَابِ « النَّبِيِّ » — ﷺ — والفَتْرَةِ المكِّيَّةِ عامَّةً ، كَمَا تُبَيِّنُ مُقْتَبَساتُ « ابنِ سعْدٍ » خاصَّةً وهُوَ يُصرِّحُ غالِباً بِأسانِيدِهِ ، ولَكِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ يَحْذِفُ السَّنَدَ كثِيراً »] (2) .

[« ويَتَّضِحُ مِنَ الفِقْرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا « ابنُ إسْحاقَ » أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْمَعُ الأخْبَارَ فَحَسْبُ ، بَلْ كَانَ يُعَبِّرُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ عَنْ رَأيِهِ الخاصِّ فِي الدَّوافِعِ الَّتِي تَدْفَعُ لارْتِكابِ الحَوادِثِ . يقُولُ « ابنُ إسْحاقَ » (3) : وأمَّا « عاصِمُ بنُ عُمَرَ» فقَالَ : « واللهِ ! » ما قَالَ ذَلِكَ « العبَّاسُ » — أعْنِي تَوْثِيقَ حِلْفِ « الأنْصارِ » علَى طاعَةِ « النَّبِيِّ » — ﷺ — ، مَعَ أنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ للتَّضْحِيَةِ بِأرْوَاحِهِمْ وأمْوالِهِمْ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الطَّاعَةِ — « إلاَّ لِيَشُدَّ العَقْدَ « لِرَسُولِ اللهِ » — ﷺ — فِي أعْنَاقِهِمْ »] (4) .

« وأمَّا « الزُّهْرِيُّ » فهُوَ « مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ شِهابٍ »مِنْ« بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلابٍ » مِنْ « قُرَيْشٍ » أبُو بَكْرٍ : مَكِّيُّ المَوْلِدِ ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٨ هـ — ٦٧٨ م) . أوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الحَدِيثَ ، وأحَدُ أكابِرِ الحُفَّاظِ والفُقَهاءِ ، تابِعِيٌّ ، عاشَ فِي « المَدِينَةِ » ، وكَانَ يَحْفَظُ « ألْفَيْنِ ومِائَتَيْ حَدِيثٍ ، نِصْفُهَا مُسْنَدٌ » .

---

(١) « المغازي الأُولى ومؤَلِّفوها : ٤٨ — الحاشية : (١) — » .

(٢) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٤٩ » .

(٣) « سيرة ابن هشام : ٤٤٦/١ » .

(٤) « المغازي الأولى ومؤَلِّفوها : ٤٩ » .

[« نَزَلَ «الزُّهْرِيُّ» «الشَّامَ» وَاسْتَقَرَّ بِهَا، وَكَتَبَ «عُمَرُبْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ» إلى عُمَّالِهِ : « عَلَيْكُمْ «بِابْنِ شِهَابٍ» فَإِنَّكُمْ لا تَجِدُونَ أَحَداً أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ المَاضِيَةِ مِنْهُ »](1). ومَاتَ بِـ « شَغْبِ » آخِرِ حَدِّ « الحِجَازِ » وَأَوَّلِ حَدِّ « فِلِسْطِينَ » (2) ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِعُلُوِّ المَنْزِلَةِ كَثْرَةُ الأَخْبَارِ الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَ « الْوَاقِدِيُّ » وَأَنَّهُ مِنْ أَجَلِّ « عُلَمَاءِ السِّيرَةِ » وَيَبْدُو أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ مَا رَوَاهُ التَّابِعُونَ مِنَ « السِّيرَةِ » وَأَضَافَ إِلَيْهَا مَا رَوَاهُ هُوَ أَيْضاً، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَتَّبَ هَذِهِ الأَخْبَارَ عَلَى شَكْلِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ المَعْرُوفِ عِنْدَ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » وَ « الْوَاقِدِيِّ »] (3) .

وَقَدْ عَدَّدَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » كُتُبَ المَغَازِي فَقَالَ : « وَمِنْهَا : « مَغَازِي مُحَمَّدِ ابْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ » (4) .

« وَمَعَ الأَسَفِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا هَذَا الْكِتَابُ ، وَهُوَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ أَهَمِّيَّةِ « الزُّهْرِيِّ » فِي تَطَوُّرِ السِّيرَةِ ،بَلْ إِنَّ كَثْرَةَ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي كُتُبِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الْوَاقِدِيِّ » لَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِ الْكِتَابِ . أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلاًّ مِنْ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » وَ « مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ » وَغَيْرِهِمْ مِنْ تَلامِذَتِهِ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ »] (5) .

[« وَنَعْرِفُ مِنْ قَوْلِ « مَعْمَرٍ » — « تِلْمِيذِ الزُّهْرِيِّ » أَنَّهُ وُجِدَتْ فِي مَكْتَبَةِ الأَمَوِيِّينَ « بِدِمَشْقَ » أَكْوَامٌ مِنَ المُجَلَّدَاتِ الَّتِي احْتَوَتْ عَلَى المَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي جَمَعَهَا « الزُّهْرِيُّ »] (6) وَهَاكَ نَصَّهُ كَمَا أَوْرَدَهُ « ابْنُ سَعْدٍ » (7) : « كُنَّا نَرَى أَنَّا قَدْ أَكْثَرْنَا عَنِ « الزُّهْرِيِّ » حَتَّى قُتِلَ « الْوَلِيدُ » ، فَإِذَا الدَّفَاتِرُ قَدْ حُمِلَتْ

---

(1) « وفيات الأعيان : ١٧٧/٤ — الترجمة (٥٦٣) — » .
(2) « الأعلام : ٩٧/٧ » .
(3) « المغازي — للواقدي — مقدمة التحقيق : ٢٣ » .
(4) « كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ » .
(5) « المغازي — للواقدي — مقدمة التحقيق : ٢٣ » .
(6) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٦٥ — ٦٦ » .
(7) « طبقات ابن سعد : ١٣٦/٢ » .

عَلَى الدَّوَابِّ مِنْ خِزَانَتِهِ ، يَقُولُ : « مِنْ عِلْمِ « الزُّهْرِيِّ » .

وَلَعَلَّ انْصِرَافَ « الزُّهْرِيِّ » إِلَى دَفَاتِرِهِ وَكُتُبِهِ الْكُلِّيَّ هُوَ الَّذِي حَدَا زَوْجَتَهُ لِتَقُولَ : « وَاللهِ ! » لَهَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرَ » [1] .

وَمِمَّا يُرْوَى عَنِ « الزُّهْرِيِّ » أَنَّهُ كَتَبَ لِجَدِّهِ « أَسْنَانَ الْخُلَفَاءِ » [2] : « وَهِيَ قَائِمَةٌ حَوْلِيَّةٌ وَعَى مِنْهَا « الطَّبَرِيُّ » اقْتِبَاسَيْنِ » [3] ، وَذُكِرَ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ بَدَأَ كِتَاباً عَنِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ بِأَمْرٍ مِنْ « خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ » وَلَكِنَّهُ لَمْ يُتِمَّهُ . وَبِأَمْرٍ أَيْضاً مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ » كَتَبَ « السِّيرَةَ لَهُ » [4] . وَقَدْ أَلْمَعْنَا إِلَى خَبَرِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ سَابِقاً (ص : [١١ م]) .

[وَرَوَى « يُونُس بنُ يَزِيدَ » « مَشَاهِدَ « النَّبِيِّ » — ﷺ — عَنِ « الزُّهْرِيِّ »] [5] .

[« وَكَتَبَ « سِيرَةً » أَيْضاً ، وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ لَهُ ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي مَجْمُوعَةِ الأَحَادِيثِ (المُسَمَّاةِ : « الزُّهْرِيَّاتُ ») — الَّتِي رَوَاهَا وَجَمَعَهَا كُتَّابٌ مُتَأَخِّرُونَ — عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِقْرَاتِ الَّتِي اسْتَعَارَتْهَا كُتُبُ مُتَرْجِمِي « النَّبِيِّ » ، وَالْكُتَّابُ عَنْ « تَارِيخِ الإِسْلَامِ الأَوَّلِ » .

وَقَدْ تَنَاوَلَ « الزُّهْرِيُّ » كَمَا تُبَيِّنُ مُقْتَبَسَاتُ « ابْنِ سَعْدٍ » خَاصَّةً ، جَمِيعَ حَيَاةِ « النَّبِيِّ » — ﷺ — لَا « المَغَازِي » بِالمَعْنَى الخَاصِّ وَحْدَهَا .

وَاسْتَخْدَمَ « الزُّهْرِيُّ » نَفْسُهُ لَفْظَ « السِّيرَةِ » لِيَصِفَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ بِأَمْرِ « خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيِّ » .] [6] .

---

(١) « وفيات الأعيان : ٤/١٧٧ — ١٧٨ » .

(٢) « تاريخ الطبري : ٥/٤٩٩ » .

(٣) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٦٦ » .

(٤) انظر الخبر في « الأغاني : ١٩ : ٥٩ » .

(٥) « الإعلان بالتَّوْبِيخِ لِمَنْ ذَمَّ التَّارِيخَ : ١٥٩ » .

(٦) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٦٧ » .

[« وَيُصَدِّرُ « الزُّهْرِيُّ » عَامَّةَ أَحَادِيثِهِ بِالإِسْنَادِ ، وَلَكِنَّهُ يَحْذِفُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ أَيْضاً . وَحِينَمَا يَجْمَعُ عِدَّةَ رِوَايَاتٍ ، تَخْتَصُّ جَمِيعاً بِحَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ ، يُنْشِىءُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ خَبَراً جَمَاعِياً ، يُصَدِّرُهُ بِأَسْمَاءِ الرُّوَاةِ مُجْتَمِعِينَ » .] [1] .

وَمِنْ شُيُوخِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » [« عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ الْمَدَنِيُّ » الْمُتَوَفَّى سنة (١٣٥هـ=٧٥٣م)ـ شَيْخُ مَالِكٍ وَالسُّفْيَانِيْنِ ـ رَوَى عَنْ «أَنَسٍ» وَجَمَاعَةٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ » .][2] . وَقَدْ [« كَتَبَ إِلَيْهِ «عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ» : أَنِ انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ «رَسُولِ اللهِ» ـ ﷺ ـ أَوْ سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ ، أَوْ حَدِيثِ « عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » فَاكْتُبْهُ ، لِخَوْفِ «عُمَرَ» مِنْ دُرُوسِ الْعِلْمِ وَذَهَابِ أَهْلِهِ » .] [3] [« وَيُخْبِرُنَا « الزُّهْرِيُّ » (الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ : « إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ فِي « الْمَدِينَةِ »)][4] [« وَنَسْتَطِيعُ مِنْ مُقْتَبَسَاتِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » وَ « الْوَاقِدِيِّ » وَ « ابْنِ سَعْدٍ » وَ « الطَّبَرِيِّ » أَنْ نُصَوِّرَ نَشَاطَ « عَبْدِ اللهِ » بَيْنَ رُوَاةِ الْحَدِيثِ إِلَى حَدٍّ مَا ، فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْمَغَازِي » .] [5] .

[« وَلَمْ يَقْنَعْ « عَبْدُ اللهِ » بِجَمْعِ الأَخْبَارِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ، فَحَاوَلَ أَيْضاً فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمُبَكِّرِ ، أَنْ يَبْتَكِرَ التَّرْتِيبَ السَّنَوِيَّ لِلْحَوَادِثِ ، فَجَمَعَ قَائِمَةً بِغَزَوَاتِ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ مُرَتَّبَةً تَرْتِيباً سَنَوِياً ، اسْتَعَارَهُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » لِكِتَابِهِ . وَعُنِيَ إِلَى جَانِبِ أَخْبَارِ رُوَاتِهِ بِالْمُدَوَّنَاتِ ، مِثْلِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَتَبَهَا « النَّبِيُّ » إِلَى « مُلُوكِ حِمْيَرَ » [6] ، وَالْوَثِيقَةِ الأُخْرَى الَّتِي أَعْطَاهَا « النَّبِيُّ » جَدَّهُ الأَكْبَرَ

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلّفوها : ٦٨ » .

(٢) « شذرات الذهب : ١٩٢/١ » .

(٣) « طبقات ابن سعد : ١٣٤/٢ » .

(٤) « المَغَازِي الأُولى وَمُؤَلِّفُوهَا : ٤٠ » .

(٥) « المَغازي الأولى ومُؤَلِّفُوها : ٤١ » .

(٦) انظر : « تاريخ الطبري : ١٢٠/٣ ــ ١٢٢ » .

«عَمْرو بنَ حَزْم» (1) ليأخُذَهَا مَعَهُ، حِينَ بَعَثَهُ إلَى «أهَالِي نَجْرَان» ليُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ.

[«وَيُدْخِلُ «عَبْدُ الله» فِي الحَوَادِثِ الأشْعَارَ عَلَى أفْوَاهِ أولَئِكَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ أثَرٌ ظَاهِرٌ فِيهَا».] (2).

وَبَعْدَ وَفَاةِ «الزُّهْرِيِّ» خَلَفَهُ نُخْبَةٌ مِنْ تَلَامِذَتِهِ فَعَمِلُوا فِي «فَنِّ السِّيرَةِ» نَخُصُّ بِالذِّكْرِ مِنْهُمْ:

«مُوسَى بْنَ عُقْبَةَ» وَ«مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ» وَ«مُحَمَّدَ بْنَ إسْحَاقَ» وَهَؤُلَاءِ جَمِيعاً مِنَ «المَوَالِي».

«فَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أبِي عَيَّاشٍ» مَوْلَى «زَوْجِ الزُّبَيْرِ» «أمِّ خَالِدٍ» وُلِدَ بِـ«المَدِينَةِ» فِي حُدُودِ سَنَةِ (٥٥ هـ/ ٦٧٤ م) كَانَ عَالِماً بِالسِّيرَةِ، وَمِنْ ثِقَاتِ رِجَالِ الحَدِيثِ فِي «المَدِينَةِ» وَعُرِفَ فَقِيهاً وَمُفْتِياً، وَكَانَتْ نَشَاطَاتُهُ فِي الحَيَاةِ العَامَّةِ لَا تَتَجَاوَزُ ذَلِكَ، وَقَدْ بَقِيَ بَعِيداً عَنِ البَلَاطِ الأمَوِيِّ فِي «دِمَشْقَ» وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ أنِ انْقَضَى عَلَى سُقُوطِ الحُكْمِ الأمَوِيِّ فِي «دِمَشْقَ» قُرَابَةُ عَشَرَةِ أعْوَامٍ سَنَةَ (١٤١ هـ/ ٧٥٨ م) فِي «المَدِينَةِ».

وَكَانَ «مُوسَى» مِنَ المُتَبَحِّرِينَ المُتَخَصِّصِينَ فِي «المَغَازِي» (3). «رَوَى «ابنُ أبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ» بِسَنَدِهِ عَنْ «مَعْنِ بْنِ عِيسَى» قَالَ: «كَانَ «مَالِكُ بْنُ أنَسٍ» إذَا قِيلَ لَهُ: «مَغَازِي مَنْ نَكْتُبُ؟» قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي «مُوسَى ابْنِ عُقْبَةَ» فَإنَّهُ ثِقَةٌ».

وَقَالَ «ابْنُ حَجَرٍ» قَالَ «إبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ» عَنْ «مَعْنِ بْنِ عِيسَى»: [«كَانَ «مَالِكٌ» يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي «مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ» فَإنَّهُ ثِقَةٌ»....

---

(1) انظر: «سيرة ابن هشام: ٢/٥٩٤ — ٥٩٦».

(2) «المغازي الأولى ومؤلّفوها: ٤٣ — ٤٤».

(3) ملخص عن «المغازي الأولى ومؤلفوها: ٦٩ — ٧٠».

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَإِنَّهُ رَجُلٌ ثِقَةٌ ، طَلَبَهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ ، وَلَمْ يُكْثِرْ كَمَا أَكْثَرَ غَيْرُهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ : « عَلَيْكُمْ بِمَغَازِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » فَإِنَّهَا أَصَحُّ المَغَازِي »] (1) .

وَقَالَ « حَاجِّي خَلِيفَةُ » : « مَغَازِي « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ » أَصَحُّ المَغَازِي » – كَذَا فِي « المُقْتَفَى » – . (2) .

[« وَرُبَّمَا نَسْتَنْبِطُ مِمَّا قَالَهُ « مَالِكٌ » أَنَّ كِتَابَ « موسى بن عُقْبَةَ » كَانَ أَصْغَرَ حَجْماً مِنَ الكُتُبِ الأُخْرَى الَّتِي عَالَجَتْ المَوْضُوعَ نَفْسَهُ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّ « مَالِكَ ابْنَ أَنَسٍ » كَانَ يهاجِمُ بِقَوْلِهِ هَذَا « ابْنَ إِسْحَاقَ » الَّذي كَانَ يعيبُ مَغَازِيَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ ، كَمَا نَعْرِفُ .

وَقَدْ حَدَّثَ بِمَغَازِي « موسى بن عُقْبَةَ » ابْنُ أَخِيهِ « إِسْمَاعِيلُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ » الَّذي تُوُفِّيَ عامَ (١٥٨ هـ/٧٧٥ م) وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا الكِتَابُ ، أَوْ بِالدِّقَّةِ ، لاَ يُعْرَفُ شَيْءٌ عَنْ وُجُودِهِ] (3) .

أَمَّا تِلْمِيذُ « الزُّهْرِيِّ » الثَّانِي فَهُوَ « مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ » مَوْلَى بَنِي حُدَّانَ ، مِنْ قَبِيلَةِ « الأَزْدِ » – المَوْلُودُ فِي « البَصْرَةِ » حَوَالي عام (٩٥ هـ/٧١٣ م) ، وَالمُتَوَفَّى في « اليَمَنِ » عام (١٥٣ هـ/٧٧٠م) وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثَمَانِيَةٌ وَخَمْسُونَ عَاماً (4) . [« وَزَعَمُوا فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ اخْتَفَى . وَلَكِنْ يُصَرِّحُ تِلْمِيذُهُ « عَبْدُ الرَّزَّاقِ » أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَسَطَ أُسْرَتِهِ فِي « صَنْعَاءَ » وَأَنَّ « مُطَرِّفَ بن مَازِنٍ » قَاضِي « صَنْعَاء » تِلْمِيذَهُ تَزَوَّجَ أَرْمَلَتَهُ »] (5) .

---

(1) « المغازي – للواقدي – المقدمة : ٢٤ – ٢٥ » و « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٠ » .
(2) « كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ » .
(3) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٠ » .
(4) « طَبَقَاتُ فُقَهَاءِ اليَمَنِ : ٦٦ » .
(5) « طبقات ابن سعد : ٣٩٧/٥ » .

وَيُوصَفُ « مَعْمَرٌ » بِأَنَّهُ ذُو أَخْلاَقٍ حَمِيدَةٍ ، وَلَهُ شُهْرَةٌ طَيِّبَةٌ فِي مَيْدَانِ الْحَدِيثِ ، وَمِمَّا يُقَالُ : إِنَّ «ابْنَ جُرَيْجٍ» قَالَ عَنْهُ : « عَلَيْكُمْ بِهَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ أَعْلَمُ مِنْهُ »] (١) .

وَيَذْكُرُ « ابْنُ النَّدِيمِ » (٢) أَنَّ « مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ » قَدْ صَنَّفَ : « كِتَابَ الْمَغَازِي» الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهُ غَيْرُ فِقْرَاتٍ أَكْثَرُهَا عِنْدَ « الْوَاقِدِيِّ » وَ « ابْنِ سَعْدٍ » وَبَعْضُهَا عِنْدَ « الْبَلاَذُرِيِّ » وَ « الطَّبَرِيِّ » ، وَيَرْجِعُ مُعْظَمُ أَخْبَارِهِ إِلى « الزُّهْرِيِّ » .

وَيُصَرِّحُ « مَعْمَرٌ » بِوُضُوحٍ أَنَّهُ وَجَّهَ أَسْئِلَةً إِلَى « الزُّهْرِيِّ » . وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ فِي الأَعْوَامِ الَّتِي وَهَبَ نَفْسَهُ فِيهَا لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، حَضَرَ مَجَالِسَ « الزُّهْرِيِّ » مُعْتَنِياً بِهَا . وَيَذْكُرُ « ابْنُ مَعِينٍ » «مَعْمَراً» وَحْدَهُ مَعَ « مَالِكٍ » وَ « يُونُسَ » عَلَى أَنَّهُمْ أَثْبَتُ الرُّوَاةِ عَنِ « الزُّهْرِيِّ » .

وَلَمْ يَلْتَزِمْ « مَعْمَرٌ » أَيْضاً « الْمَغَازِي » بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ ، بَلْ وَجَّهَ عِنَايَتَهُ كَذَلِكَ إِلى تَارِيخِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ « الرُّسُلِ » السَّابِقِينَ، وَكَذَلِكَ تَارِيخِ « النَّبِيِّ » قَبْلَ الهِجْرَةِ »] (٣) .

« أَمَّا « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ » الْمُطَّلِبِيُّ بِالْوَلاَءِ، الْمَدَنِيُّ، فَهُوَ أَشْهَرُ تَلاَمِذَةِ « الزُّهْرِيِّ » ، وَمِنْ أَقْدَمِ مُؤَرِّخِي « الْعَرَبِ » مِنْ أَهْلِ « الْمَدِينَةِ » ، وَغَطَّتْ شُهْرَةُ مُصَنَّفِهِ فِي « الْمَغَازِي » جَمِيعَ مَنْ سَبَقَهُ وَعَاصَرَهُ بِكِتَابِهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ وَصَلَ إِلَيْنَا كَامِلاً ، لاَ فِي قِطَعٍ وَلاَ مُقْتَطَفَاتٍ ، وَقَدْ هَذَّبَ « ابْنُ هِشَامٍ » كِتَابَهُ وَنَشَرَهُ بِاسْمِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، ثُمَّ عَزَاهَا النَّاسُ لَهُ .

نَشَأَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي أُسْرَةٍ مِنَ الْمَوَالِي . وَيَبْدُو أَنَّ « مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ » وُلِدَ حَوَالِي عام (٨٥ هـ/٧٠٤ م) ، وَقَدِ انْصَرَفَ مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ إِلى رِوَايَةِ الْحَدِيثِ

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٤ » .

(٢) « الفهرست — لابن النديم : ١٤٤ » .

(٣) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٥ » .

الاشتغال به ، ووسّع فيما بعد مداركه بزيارة أشهر العلماء من أمثال « عاصم بن عمر » و« عبد الله بن أبي بكر » و« الزهري » وقد رجع إلى الثلاثة جميعهم في كتابه . ولكنه حاول أن يحصل على « الأخبار » من كل مكان آخر ، ويذكر قرابة مائة راو من « المدينة » وحدها .

ووفد « ابن إسحاق » عام (١١٥ هـ/٧٣٣ م) على « الإسكندرية » حيث سمع خاصة من « يزيد بن أبي حبيب » المتوفى عام (١٢٨ هـ/٧٤٥م) الذي كان أول من غرس دراسة الحديث في «مصر» ثم عاد إلى « المدينة » . وفي إحدى الزيارات أبرزه أستاذه « الزهري » للحاضرين في عام (١٢٣ هـ/٧٤١ م) . وقابل « سفيان ابن عيينة في « المدينة » في عام (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) ، ثم غادر « المدينة » إلى«الكوفة» و« الجزيرة » و« الري » و« بغداد » حيث يقال إنه ظل فيها حتى وفاته » [1] . ومات « ابن إسحاق » في « بغداد » عام (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) ، ودفن بـ « مقبرة الخيزران » — « أم الرشيد » — . قال « ابن حبان » : لم يكن أحد « بالمدينة » يقارب « ابن إسحاق » في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار » [2] . ، اتصل « محمد بن إسحاق » بـ « العباس بن محمد العباسي » والي « الجزيرة » في « الجزيرة » وكان « العباس » حينئذ والياً عليها في عام (١٤٢ هـ/٧٥٩ م) في عهد « أبي جعفر المنصور » الذي تولى الخلافة من عام (١٣٦ — ١٥٨ هـ = ٧٥٤ — ٧٧٥ م) . فقصد « ابن إسحاق » « الخليفة » « أبا جعفر المنصور » بـ « الحيرة » فكتب إليه « المغازي » قبل أن ينتقل الخليفة « أبوجعفر المنصور » إلى عاصمته الجديدة « بغداد » سنة : (١٤٦ هـ/٧٦٣ م) .

ولا تعني « هذه الرواية » أن « ابن إسحاق » كتب « المغازي » للخليفة بعهد منه ، إذ تبين قائمة الرواة الذين ذكرهم أنه ألف مادته على أساس الأحاديث التي جمعها في « المدينة » خاصة ، وعلى أساس الأحاديث التي جمعها في

---

(١) « الأعلام : ٢٨/٦ » .

(٢) « ملخص عن « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٧٥ — ٨٠ » .

« مِصْرَ » أَيْضاً ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لاَ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ رُوَاةٍ مِنَ « الْعِرَاقِ » فِي أَي مَكَانٍ .

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الكِتَابَ تَمَّ حِينَ غَادَرَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » أَخِيراً مَدِينَةَ آبَائِهِ « المَدِينَةَ » (1) .

وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أَنْ نبينَ أَنَّ فِقْدَانَ كِتَابِ « مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ » مِنَ الخِزَانَةِ الْعَرَبِيَّةِ – أَوْ بِالأَصَحِّ – فِقْدَانَ بَعْضِ أَجْزَائِهِ ، وَوُجْدَانَ بَعْضِ أَجْزَائِهِ فِي خِزَانَةِ الْقَرَوِيِّينَ « بِفَاسٍ » يَرْجِعُ تاريخُ كِتَابَتِهَا إلى سَنَةِ (٥٠٦ هـ/١١١٢ م) – قَدْ تَرَكَ ثُغْرَةً فِي نِطَاقِ مَعْرِفَتِنَا الْعَامَّةِ بِالْكِتَابِ ، وَمَعَ ذَلكَ فَقَدْ أَدَّى « ابنُ هِشَامٍ » المُتَوَفَّى سنة : (٢١٨ هـ/٨٢٨ م) خدْمَةً جُلَّى بِاخْتِصَارِهِ كِتَابَ « ابْنِ إِسْحاقَ » الَّذِي أَوْجَزَ فِيهِ الأَصْلَ وَسَمَّاهُ « سِيرَةَ « النَّبِيِّ » – ﷺ – الَّذِي رَوَاهُ عَنْ تِلْمِيذِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » المُبَاشَرِ « الْبَكَّائِيِّ » المُتَوَفَّى سنة (١٨٣ هـ/٧٩٩ م) ، فَأَتَاحَ المُنَاخَ المُنَاسِبَ لِتَكْوِينِ صُورَةٍ وَاضِحَةٍ عَنْ مَنْهَجِ الكِتَابِ فِي صُورَتِهِ الأَصْلِيَّةِ بَعْدَ رَبْطِهَا بِالْقِطَعِ الْكَثِيرَةِ المَذْكُورَةِ فِي « الطَّبَرِيِّ » وَغَيْرِهِ مِنَ كُتُبِ التَّارِيخِ .

[« وَيُقَرِّرُ « ابنُ هِشَامٍ » فِي مُقَدِّمَةِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ : ٤/١ » مَا أَحْدَثَهُ مِنَ التَّغْيِيرَاتِ فِي كِتَابِ « ابْنِ اسْحَاقَ » . فَتَرَكَ تَارِيخَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ « آدَمَ » إِلَى « إِبْرَاهِيمَ » وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ سُلاَلَةِ « إِسْمَاعِيلَ » غَيْرَ أَجْدَادِ « النَّبِيِّ » المُبَاشَرِين وَكَذَلِكَ تَرَكَ بَعْضَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي رَوَاهَا « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ « النَّبِيِّ » – ﷺ – أَوْ لاَ يُشِيرُ إِلَيْهَا « الْقُرْآنُ » وَلاَ تَحْتَوِي عَلَى مُنَاسَبَةٍ أَوْ شَرْحٍ أَوْ تَأْكِيدِ أَيِّ أَمْرٍ آخَرَ مَرْوِيٍّ فِي كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » . وَقَدْ أَجْرَى كُلَّ هَذَا الحَذْفِ لِيَخْتَصِرَ الْكِتَابَ . وَلَكِنَّ هُنَاكَ مَحْذُوفَاتٍ أُخْرَى لأَسْبَابٍ أُخْرَى : فَقَدْ حَذَفَ الْقَصَائِدَ الَّتِي كَانَ لا يَعْرِفُهَا عُلَمَاءُ الشِّعْرِ الَّذِينَ سَأَلَهُمْ عَنْهَا ، وَالْحَقَائِقَ الَّتِي يُؤْذِي ذِكْرُهَا بَعْضَ النَّاسِ ، أَوْ يُحْتَمَلُ أَنْ يُسِيءَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ الأَخْبَارَ المَنْسُوبَةَ حَقّاً « لابْنِ إِسْحَاقَ » وَلَكِنَّ « الْبَكَّائِيَّ » كَانَ يَجْهَلُهَا .

---

(1) انظر : « المغازي الأولى ومؤلّفوها : ٨٠ – ٨١ » .

وَأَجْرَى « ابْنُ هِشَامٍ » أَيْضاً تَصْحِيحَاتٍ حَقَّةً ، وَإِضَافَاتٍ كَثِيرَةً فِي الأَنْسَابِ وَاللُّغَةِ ، يُشِيرُ إِلَيْهَا دَائِماً مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْ فِي النَّصِّ ؛ وَلاَ يَحْتَوِي مُلَخَّصُهُ إِلاَّ عَلَى إِشَارَاتٍ ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، إِلَى المَوَاضِعِ الَّتِي حَذَفَ مِنْهَا أَشْيَاءَ . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ نَسْتَطِيعُ فِيهِ بِمُسَاعَدَةِ الفِقْرَاتِ الَّتِي فِي الكُتُبِ الأُخْرَى مِنْ كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » أَنْ نَسْتَرْجِعَ قَدْراً كَبِيراً مِمَّا حَذَفَهُ « ابْنُ هِشَامٍ » ، فَنَمْلأَ النَّقْصَ فِي نُسْخَتِهِ . وَقَدْ وَعَى « الطَّبَرِيُّ» خَاصَّةً جُزْءاً كَبِيراً مِنَ الفَصْلِ الخَاصِّ بِأَنْبِيَاءِ « أَهْلِ الكِتَابِ » ، فَهُوَ يُعْطِينَا فِي « تَارِيخِهِ » وَفِي«تَفْسِيرِه» مُقْتَطَفَاتٍ كَثِيرَةً كَبِيرَةً مِنْ تِلْكَ الفُصُولِ مِنْ كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ » المنتمية « لِلْمُبْتَدَإِ » . عَلَى حِينَ حَفِظَ لَنَا « الأَزْرَقِيُّ » أَخْبَاراً تَتَنَاوَلُ « تَارِيخَ « مَكَّةَ » القَدِيمَ « المَحْذُوفَ عِنْدَ « ابْنِ هِشَامٍ » ، وَيُسْتَنْتَجُ مِنْ مُقَدِّمَةِ « ابْنِ هِشَامٍ » أَنَّ مَحْذُوفَاتِهِ مِنَ « المَغَازِي » كَانَتْ طَفِيفَةً ، بِعَكْسِ هَذِهِ المَحْذُوفَاتِ المُهِمَّةِ مِنَ « المُبْتَدَإِ » وَلَكِنَّ « الطَّبَرِيَّ » يَفُوقُ الجَمِيعَ هُنَا أَيْضاً فِي تَقْدِيمِ مَا يُمَكِّنُنَا مِنْ مِلْءِ الثُّغَرَاتِ .

وَإِذَا عُنِينَا بِهَذِهِ الفِقْرَاتِ المَحْفُوظَةِ فِي مُقْتَطَفَاتٍ لَيْسَتْ فِي نَصِّ « ابْنِ هشامٍ» وَصَلْنَا إِلى الصورةِ التَّالِيَةِ لمنهجِ «كِتَابِ « ابْنِ إِسْحَاقَ »][1] .

اتَّبَعَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي تَأْلِيفِهِ كِتَابَهُ « المَغَازِيَ » مَنْهَجاً وَاضِحَ المَعَالِمِ وَالأَهْدَافِ ، وَرَتَّبَهُ عَلَى ثَلاثَةِ مَوْضُوعَاتٍ :

وَهِيَ :

أ ــ « المُبْتَدَأُ » .

ب ــ « المَبْعَثُ » .

جـ ــ « المَغَازِي »

أ ــ « المُبْتَدَأُ »

تَحَدَّثَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » فِي « المُبْتَدَإِ » عَنِ « التَّارِيخِ الجَاهِلِيِّ » وَفَصَّلَ مَوْضُوعَاتِهِ فِي أَرْبَعَةِ فُصُولٍ .

---

(١) « المغازي الأولى ومؤلفوها : ٨٢ ــ ٨٤ » .

فَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الأَوَّلِ عَنِ « الْوَحْيِ » قَبْلَ الإِسْلاَمِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الثَّانِي عَنِ « تَارِيخِ الْيَمَنِ » فِي الْعُصُورِ الجَاهِلِيَّةِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الثَّالِثِ عَنِ « الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَعِبَادَتِهَا لِلأَصْنَامِ » .
وَمَبْحَثُ الْفَصْلِ الرَّابِعِ عَنْ « أَجْدَادِ « النَّبِيِّ » الْمُبَاشَرِينَ وَالدِّيَانَاتِ المَكِّيَّةِ » .
وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الأَسَانِيدَ نَادِرَةٌ فِي « المُبْتَدَإِ » .
فَهَذَا هُوَ كُلُّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ « الجزْءُ الأَوَّلُ » .

ب – « المَبْعَثُ » :

تحَدَّثَ « ابنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَبْعَثِ » فِي مَوْضُوعَيْنِ :
المَبْحَثُ الأَوَّلُ عَنْ « حَيَاةِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – فِي « مَكَّةَ » .
وَالمَبْحَثُ الثَّانِي عنْ « الهِجْرَةِ » ، وَرُبَّمَا شَمَلَ الْعَامَ الأَوَّلَ مِنْ نَشَاطِهِ – ﷺ – فِي « المَدِينَةِ » .

وَيُلاحَظُ فِي « المَبْعَثِ » ازْدِيَادُ عَدَدِ الأَسَانِيدِ . وَيَعْتَمِدُ « ابْنُ إِسْحَاقَ » خَاصَّةً عَلَى رِوَايَاتِ أَسَاتِذَتِهِ « المَدَنِيِّينَ » الَّتِي يُبْرِزُهَا فِي نِظَامٍ سَنَوِيٍّ ، وَهُوَ يُقَدِّمُ لِلأَخْبَارِ الْفَرْدِيَّةِ بِمُوجَزٍ حَاوٍ لمُحْتَوَيَاتِهَا فِي الْغَالِبِ .

وَفِي هَذَا الجُزْءِ ، إِلَى جَانِبِ الْقِصَصِ الَّتِي يَجْلِبُهَا بِإِسْنَادٍ أَوْ بِغَيْرِهِ ، تُوجَدُ وَثِيقَةٌ دَوَّنَهَا «ابْنُ إِسْحَاقَ» عَنْ مُعَاهَدَةِ «النَّبِيِّ» المَشْهُورَةِ مَعَ الْقَبَائِلِ المَدَنِيَّةِ ، المُسَمَّاةِ : « نِظَامُ مُجْتَمَعِ المَدِينَةِ » . وَيُوجَدُ أَيْضاً مَجْمُوعَاتٌ كَامِلَةٌ مِنَ الْقَوَائِمِ ذَكَرَ فِي بَعْضِهَا أَسْمَاءَ المُسْلِمِينَ الأَوَّلِينَ ، أَوْ الَّتِي ذَكَرَ فِي غَيْرِهَا مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ ، أَوَ أَوائِلِ مُسْلِمِي الأَنْصَارِ . . الخ .

وعِنْدَ هَذِهِ الحُدُودِ يَنْتَهِي الجزْءُ الثَّانِي .

جـ – « المَغَازِي » :

تَحَدَّثَ « ابنُ إِسْحَاقَ » فِي « المَغَازِي » عَنْ « تاريخِ « النَّبِيِّ » – ﷺ – فِي « المَدِينَةِ » مُنْذُ أَوَّلِ صَيْحَةٍ لِلْحَرْبِ رَفَعَهَا لمُقَاتَلَةِ الْقَبَائِلِ المُشْرِكَةِ إِلى أَنْ تُوُفِّيَ « النَّبِيُّ » – ﷺ – .

وَلاَ يعالج « ابْنُ إسْحَاقَ » بتفصيل في هَذَا الجُزْءِ غَيْرَ مَرَض « النبي » ـ ﷺ ـ الأخير وَوَفَاتَه ، وَالقَاعِدَةُ هُنَا وُجُودُ الإسْنَادِ .

ويَسْتَخدِمُ « ابْنُ إسْحَاقَ » مَنْهَجاً مُحَدَّداً لِعَرْضِ الغَزَوَاتِ الفِعْلِيَّةِ فيقدِّمُ مُلَخَّصاً حَاوِياً لِلمُحْتَوَيَاتِ فِي المُقَدِّمَةِ .

وَالقَوَائِمُ كَثِيرَةٌ فِي « المَغَازِي » أيْضاً فَهُوَ يُدَوِّنُ قَائِمَةً بِأُولَئِكَ الَّذِينَ حَارَبُوا فِي « بَدْرٍ » وَأُخْرَى بِالقَتْلَى وَالأسْرَى ، وَثَالِثَةً بِقَتْلَى « أُحُدٍ » ، وَكَذَلِكَ قَتْلَى « الخَنْدَقِ » ، وَ « خَيْبَرَ » وَ « مُؤْتَةَ » والطَّائِفِ وَالمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنَ « الحَبَشَةِ » .

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أنْ نُنَوِّهَ هُنَا أنَّ « ابْنَ إسْحَاقَ » سَمَّى كِتَابَهُ « المَغَازِي » بِاسْمِ المَوْضُوعِ الَّذِي دَارَ عَلَيْهِ البَحْثُ في الجُزْءِ الثَّالِثِ من كِتَابِهِ ، فَبَعْدَ هَذَا التَّخصيص صَارَ تَعْمِيمُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كَامِلِ الكِتَابِ وَصَارَ الاسمُ عَلَماً يُدَلُّ بِهِ عَلَى كِتَابِ « ابنِ إسْحَاقَ » إذْ لَمْ يَنْتَشِرْ ذِكْرُ « المُبْتَدَأ » وَلاَ ذِكْرُ « المَبْعَثِ » . وَمِنْ ثَمَّ شَاعَتِ التَّسْمِيَةُ فَصَارَتْ عَلَماً مَخْصُوصاً بِهَا عَمَلُ كُلِّ مَنْ تَصَدَّى لِتَارِيخِ حَيَاةِ « الرَّسُولِ » ـ ﷺ ـ عِنْدَ مُعْظَمِ المُؤَرِّخِينَ وَمُؤَرِّخِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِيمَا بَعْدُ .

وَلاَ رَيْبَ أنَّ « مَغَازِيَ ابْنِ إسْحَاقَ » عَمَلٌ ضَخْمٌ ، أوْفَى صَاحِبُهُ عَلَى الغَايَةِ فِي جَمْعِ الرِّوَايَاتِ وَالأخْبَارِ ، فَأوْرَدَهَا وَدَوَّنَهَا كَمَا وَقَعَتْ إلَيْهِ مَعْزُوَّةً إلَى مَصَادِرِهَا وَرُوَاتِهَا الأوَائِلِ الَّذِينَ وَقَعَتْ إلَيْهِ مِنْ قِبَلِهِمْ . وَفِي هَذَا الكِتَابِ تَتَجَلَّى قُدْرَةُ « ابْنِ إسْحَاقَ » عَلَى التَّنْسِيقِ ، وَحُسْنِ التَّألِيفِ ، فَسَاقَ كُلَّ مَا وَقَعَ إلَيْهِ عِلْمُهُ مِنْ أحْدَاثِ السِّيرَةِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ المُبَشِّرَاتِ عَلَى نَسَقٍ تَارِيخِيٍّ لَمْ يُسْبَقْ إلَيْهِ ، مُتَّبِعاً فِي تَرْتِيبِ كِتَابِهِ الأوَّلَ فالأوَّلَ .

لَمْ يَلْتَفِتْ « ابْنُ إسْحَاقَ » (1) وَمِنْ بَعْدِهِ « ابنُ هِشَامٍ » إلى نَقْدِ مَا اجْتَمَعَ

---

(1) قَالَ « ابْنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيُّ » : « وَكَانَ مِمَّنْ أفْسَدَ الشِّعْرَ وَهَجَّنَهُ وَحَمَلَ كُلَّ غُثَاءٍ مِنْهُ « مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ » ـ مَوْلَى « آلِ مَخْرَمَةَ بْنِ =

إليه مِنْ هَذِهِ الأَخْبَارِ ، لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْهَا مِمَّا دَخَلَهُ الزَّيْفُ وَالتَّمْوِيه ، عَلَى طَرَائِقِ المُؤَرِّخِينَ المُحَدَثِينَ ، وَلاَ عَلَى طَرَائِقِ المُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الرِّوَايَةِ وَالْحَدِيثِ .

وَيُلاَحَظُ أَنَّ المُؤَلَّفَاتِ الَّتِي تَمَّ ذِكْرُهَا ، هِيَ مُؤَلَّفَاتٌ تَامَّةٌ ، لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا إلاَّ بَعْدَ جَهْدٍ مُضْنٍ ، وَإلاَّ بَعْدَ تَدَرُّجٍ وَأَعْمَالٍ مَسْبُوقَةٍ فِي جَمْعِ الأَخْبَارِ الَّتِي تَوَلَّى القِيَامَ بِهَا التَّابِعُونَ فَرَوَوْا مَا آلَتْ إِلَيْهِمْ رِوَايَتُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ الَّذِينَ صَحِبُوا « الرَّسُولَ » – ﷺ – فَنَقَلُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوهُ أَوْ شَهِدُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَا أَقَرَّ عَلَى فِعْلِهِ – ﷺ – أَصْحَابَهُ مِنْ أُمُورٍ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهَا ، أَوْ لَمْ يَنْهَ عَنْهَا .

= المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ » وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ بِالسِّيَرِ . [قَالَ « الزُّهْرِيُّ » : « لاَ يَزَالُ فِي النَّاسِ عِلْمٌ مَا بَقِيَ مَوْلَى آلِ مَخْرَمَةَ » ، وَكَانَ أَكْثَرُ عِلْمِهِ بِالمَغَازِي وَالسِّيَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ] – فَقَبِلَ النَّاسُ عَنْهُ الأَشْعَارَ ، وَكَانَ يَعْتَذِرُ مِنْهَا وَيَقُولُ : « لاَ عِلْمَ لِي بِالشِّعْرِ ، أُوتَى بِهِ فَأَحْمِلُهُ » وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ عُذْراً . فَكَتَبَ فِي « السِّيَرِ » أَشْعَارَ الرِّجَالِ ، الَّذِينَ لَمْ يَقُولُوا شِعْراً قَطُّ ، وَأَشْعَارَ النِّسَاءِ فَضْلاً عَنِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ جَاوَزَ ذَلِكَ إلى « عَادٍ » وَ « ثَمُودَ » ، [فَكَتَبَ لَهُمْ أَشْعَاراً كَثِيرَةً ، وَلَيْسَ بِشِعْرٍ ، إِنَّمَا هُوَ كَلاَمٌ مُؤَلَّفٌ مَعْقُودٌ بِقَوَافٍ] . « أَفَلاَ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ : مَنْ حَمَلَ هَذَا الشِّعْرَ ؟ ! وَمَنْ أَدَّاهُ مُنْذُ آلافِ مِنَ السِّنِينَ ، [وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ – « سُورَة الأنعام : ٤٥/٦ – م » –، أيْ : لاَ بَقِيَّةَ لَهُمْ . وَقَالَ أَيْضاً] : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى * وَثَمُودَ ا فَمَا أَبْقَى ﴾ – « سُورة النَّجم : ٥٣/٥٠ – ٥١ – » . وَقَالَ فِي « عَادٍ » : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ . – « سُورَةُ الحَاقَّة :٦٩/٨ – ك – » – (وَقَالَ : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴾ – « سُورَةُ الفُرْقَانِ : ٢٥/٣٨ – ك – » . وَقَالَ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ ﴾ – « سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ : ١٤/٩ – ك – » . « طَبَقَات فُحُول الشعراء : ٨ – ٩ » .

نواحٍ من التأليف في السيرة

حَفَلَتِ الخِزَانَةُ العَرَبِيَّةُ بِتُرَاثٍ زَاخِرٍ عَظِيمٍ ، مُتَعَدِّدِ الجَوَانِبِ وَالأَهْدَافِ . وَقَدِ اتَّسَعَ هَذَا التُّرَاثُ حَتَّى نَظَمَ جَمِيعَ مَظَاهِرِ الحَيَاةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ فِي جَمِيعِ جوانبِهَا العَقْلِيَّةِ ، الفِكْرِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ ، وَالمعارفِ الإنسانيَّةِ في شَتَّى مَجَالَاتِهَا فِي الاعْتِقَادِ والتَّارِيخِ والنُّظُمِ والآدَابِ وَالفُنُونِ وَاللُّغَةِ .

وَلِلأَهَمِّيَّةِ الكُبْرَى وَالمَحَبَّةِ العُظْمَى لِشَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ - ﷺ - نَالَتِ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ العِنَايَةَ الفَائِقَةَ مِنْ جُهْدِ المُصَنِّفِينَ ، فَتَبَارَوْا فِي مِضْمَارِ التَّأْلِيفِ في نواحٍ مِنَ السِّيرَةِ الشَّرِيفَةِ ، « فَالبَيْهَقِيُّ » وَ « أَبُو نُعَيْمٍ » وَ « المَاوَرْدِيُّ » أَلَّفُوا في « أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ » . وَأَلَّفَ « التِّرْمِذِيُّ » وَ « السُّيُوطِيُّ » وَ « الزُّرْقَانِيُّ » في « شَمَائِلِ الرَّسُولِ » - ﷺ - وَأَحْوَالِهِ » .

وَأَرَّخَ « ابْنُ إِسْحَاقَ » وَ « ابْنُ هِشَامٍ » وَ « ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ » وَ « الشَّمْسُ الصَّالِحِيُّ » وَ « النُّورُ الحَلَبِيُّ » لأَطْوَارِ حَيَاتِهِ - ﷺ - .

وَأَلَّفَ « ابْنُ دِحْيَةَ » فِي « مُعْجِزَاتِهِ » .

وَأَلَّفَ « ابْنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ القُرْطُبِيُّ » وَ « ابْنُ الأَثِيرِ » وَ « ابْنُ حَجَرٍ » فِي أَصْحَابِهِ - ﷺ - .

وَتَبَارَى آخَرُونَ فِي مَوْضُوعِهَا ، وَالكَشْفِ عَنْ أَخْبَارِهَا ، وَعَمَدُوا إلى التَّدْقِيقِ وَالتَّمْحِيصِ لِلْوُصُولِ إلى الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَحِفْظِهَا ، وَإلى الأَخْبَارِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ وَنَبَّهُوا إِلَيْهَا ، وعَمَدَ بَعْضُهُمْ إلى نَبْذِ كُلِّ مَا لَيْسَ مِنْهَا .

وَالنَّاظِرُ فِي التُّرَاثِ يَرَى أَكْدَاساً مِنَ المُصَنَّفَاتِ في السِّيرَةِ ، وَتَبْهَرُ الأَنْظَارُ ، لِكَثْرَتِهَا إلاَّ أَنَّ هَذَا التُّرَاثَ الهَائِلَ في أَعْدَادِهِ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ الجَوْهَرُ. وَإنَّ عَامِلَ التَّبَايُنِ بَيْنَ هَذِهِ المُؤَلَّفَاتِ لاَ يَمَسُّ إلاَّ الشَّكْلَ وَالصُّورَةَ . وَمِنْ تَقَصِّي أَغْوَارِ هَذِهِ المُصَنَّفَاتِ يُمْكِنُنَا أَنْ نُصَنِّفَهَا فِي نِطَاقِ ثَلاَثَةِ اتِّجَاهَاتٍ :

فَالاتِّجَاهُ الأوَّلُ تُمَثِّلُهُ مُصَنَّفَاتُ الرُّوَّادِ الأَوَائِلِ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السِّيرَةِ وَالمَغَازِي مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ مِمَّنْ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ الأَعْمَالُ الرَّصِينَةُ فِي فَنِّ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، ونعدُّ مِنْهُمْ : « عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ » وَ « أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ ابن عَفَّانَ » وَ « وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ » وَ « ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ » ، وَ « عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ » و « عَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي بَكْرِ بنِ حَزْمٍ » ، وَ « مُوسَى بْنَ عُقْبَةَ » وَ «مَعْمَرَ ابْنَ رَاشِدٍ » ، وَ « مُحَمَّدَ بنَ إِسْحَاقَ » ، وَ « الْوَاقِدِيَّ » .

وَأَعْمَالُ هؤُلاءِ الرُّوَّادِ تَتَّصِفُ بِالأَصَالَةِ وَالسَّبْقِ وَالابْتِكَارِ فِي فَنِّ التَّأْلِيفِ فِي السِّيرَةِ .

أَمَّا الاتِّجَاهُ الثَّانِي فَيُمَثِّلُهُ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي أَخَذَ أَعْمَالَ الرُّوَّادِ الأَوَائِلِ وَمَنْ تَلاَهُمْ وَأَخَذَ فِي شَرْحِهَا وَفَكِّ مُغْلَقِهَا ، أَوْ قَامَ بِتَشْذِيبِهَا وَاخْتِصَارِهَا ، وَاسْتِبْعَادِ كُلِّ الأَخْبَارِ الَّتِي لاَ تَتَحَقَّقُ الْقَنَاعَةُ فِي صِدْقِهَا ، وَالإِيجَازِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ الإِسهابُ . ولَجَأَ بَعْضُهُمْ إِلَى « السِّيرَةِ » فَنَظَمَهَا وَصَاغَهَا شِعراً بُغْيَةَ اسْتِسْهَالِ حِفْظِهَا .

وَيُلاَحَظُ عِنْدَ ذَوِي هَذَا الاتِّجَاهِ الهَدَفُ التَّعْلِيمِيُّ الكَامِنُ وَرَاءَ هَذِهِ الآثَارِ .
وَيُمَثِّلُ هَذَا المَسْلَكَ فِي الْعَمَلِ « ابنُ هِشَامٍ » وَمَنْ نَحَا نَحْوَ كِتَابِهِ شَرْحاً أَوِ اخْتِصَاراً .

وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ إِلَى قَائِمَةِ النَّظَّامين : « عَبْدَ العزيزِ بْنَ أَحْمَدَبن سعيد الدَّمِيرِيَّ المعروف بالدَّيْرِينِيِّ » المُتَوَفَّى سَنَةَ : (٦٩٤هـ/١٢٩٥م). وَ«أبَاالْحَسَنِ فَتْحَ بْنَ مُوسى الْقَصْرِيَّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٦٨ هـ/١٢٦٩ م) . وَ « ابْنَ الشَّهِيدِ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م) .

أَمَّا الاتِّجَاهُ الثَّالِثُ فَيُمَثِّلُهُ أُولَئِكَ المُؤَلِّفُونَ الَّذِينَ اضْطَلَعُوا بِحَمْلِ مُؤَلَّفَاتِ الأَوَائِلِ وَعَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى جَمْعِهَا ، ثُمَّ اسْتَقَى مَوْضُوعَ سِيرَتِهِ مِنْ مَضْمُونِ هَذِهِ المُصَنَّفَاتِ ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى النَّاسِ بِكِتَابٍ جَدِيدٍ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَهُ ، وَمِنْ حَيْثُ الحَقِيقَةُ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ مِمَّنْ سَبَقُوهُ .

وَنَضْرِبُ مِثالاً عَلَىٰ ذَلِكَ: « ابْنَ فَارِسٍ اللُّغَوِيّ » المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

وَ « ابنَ أَبِي طَيّ ، يحيى بن حميدة » المتوفَّى سنة (٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ .

وَيُمْكِنُ أَنْ نَقِفَ عَلَىٰ مُؤَلَّفَاتِ «السِّيَرِ» وَ « المَغَازِي » مِنْ خِلَالِ الاسْتِقْصَاءِ الَّذِي عَقَدَهُ «السَّخَاوِيُّ» المتوفَّى سنة (٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) في كِتَابِهِ : « الإِعْلَانُ بالتَّوْبِيخِ لِمَنْ ذَمَّ التَّارِيخَ » وَفِي ذَلكَ يَقُولُ :

[« فَأَمَّا السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَالمَغَازِي فَقَدِ انْتُدِبَ لِجَمْعِها ، معَ سائرِ أَيَّامِهِ ، مِمَّا يُرْشِدُ لِطَرِيقَتِهِ مَنْ فَاقَ كَثْرَةً ، وَرَاقَ خِبْرَةً .

١ً – كَـ : « مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ الأَسَدِيِّ المَدَنِيِّ – أَحَدِ التَّابِعِينَ .

٢ً – و « محمَّد بن إسْحَاقَ المُطَّلِبِيِّ »، مولاهُمْ، المدنيِّ، أحَدِ التَّابِعينَ أيضاً ، لرؤيتِهِ « أَنَساً » – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – .

٣ً – وَ « أَبِي عبدِ اللهِ محمد بن عمر الأسلميِّ »، مولاهم، المدنيِّ، القاضي ، «الواقِدِيِّ» نسبةً لجَدِّهِ « واقد » . وفي أوَّلِ « الطَّبَقَات الكُبرى » لكاتبه « أبي عبد الله محمد بن سعد البغدادِيِّ » ، سيرَةٌ مطوَّلَةٌ .

٤ً – وَ « أبي بكرٍ عبدِ الرزاق بن هَمَّام الحِمْيَرِيِّ ، مولاهم ، الصَّنْعانيِّ » .

٥ً – و « أبي أحْمد محمَّد بن عائذٍ ، القرشيِّ ، الدمشقِيِّ ، الكاتب » .

٦ً – وَ « أبي عثمانَ سعيدِ بنِ يحيى الأمويِّ ، البغدادِيِّ » .

٧ً – وَ « أبي القاسمِ التَّيْمِيِّ الإصبَهانيِّ » .

وَأوَّلها : « سيرَة موسى بن عقبة » أصحُّها ، كما قاله تلميذُه « الإمام مالك » وغَيْرُهُ .

وَأَمَّا الثاني : وهو القائل فيه « الشَّافعيُّ » – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – : « مَنْ أَرَادَ التَّبَحُّرَ في « المغازي » ، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَيْهِ » فَرَوَى « المُبْتَدَأ » و « المغازي » عنه « سلمةُ بنُ الفَضْلِ الرازِي » و « المغازي » كل من « جرير بن حازم » و « يحيى بن محمد بن عَبَّادِ بن هاني ». وروى كتابَه الشهير جماعةٌ منهم « أبو محمد » ، و « أبو زيد زياد بن عبد الله بن الطُّفَيْل البكَّائيُّ

العامِرِيّ » ، و « يونس بن بُكَيرٍ الشَّيبانيُّ » الكُوفيَّان،وَأَوَّلُهُما أَوْثَقُهُمَا . وأخَذَ الإمَامُ « أبو محمَّدٍ عبد الملكِ بن هشامٍ » كتاب « ابن إسحاقَ » ، بعدَ أنْ سَمِعَهُ مِن زيادٍ البَكَّائيِّ عَنْهُ ، فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ بحيثُ صارَ المُعَوَّلَ عليه . وكتَبَ عليْهِ « أَبُو القَاسِمِ السُهَيْلِيُّ » : « الرَّوْض الأُنُفِ » الَّذي اختصَرَهُ «الذَّهَبِيُّ» وغيرُه؛ بَلْ «لِمُغْلَطايَ» عَلى كُلٍّ مِنَ « السِّيرَةِ » وَ « الرَّوْضِ » « الزَّهرُ الباسمُ » . ولشيخِنا تخريجُ الأحاديثِ المنقطعات فيها ، وشرَحَ مِنْها قطعةً كبيرَةً « شَيْخُنا « البدْرُ العينيُّ » ورواها جماعَةٌ حسبما بَيَّنْتُ ذلك كُلَّهُ وَاضِحاً في جزءٍ عَمِلْتُهُ حينَ خَتَمَ قراءَتَهَا عَلَيَّ .

ثُمَّ إنَّهُ قد روى « ابنُ لَهيعَةَ » عن « أبي الأسودِ » عنْ « عُروَةَ بن الزبير » « المغازي » وكذا «الزُّهْرِيُّ» عَن « عروة بن الزُّبَيْرِ » عن أبيه . و « حَجَّاجُ بن أبي مَنِيعٍ » عن« الزُّهْرِيِّ ».

وروى « يونسُ بنُ يزيد » مشاهدَ « النَّبِيِّ » ـ ﷺ ـ عنِ « الزُّهْرِيِّ » ، و « الوليد بن مسلم أبو العبَّاس القرشي الدمشقي» الَّذي قال عَنْهُ «أبُوزُرْعَةَ الرَّازِيُّ»: إنَّهُ «أعْلَمَ بأمر المغازي وَالسِّيَر عن « الأوزاعِي » ، و « محمد بن عبد الأعلى » « السِّيَر » عن « مُعْتَمر بن سليمان » عن أبيه ، و « عبد الملك بن حبيب[. . .] [1] المسيب بن واضح، و «أبُو عَمْرٍو معاوية بن عَمْرٍو » « السِّيَرَ » عن « أبي إسحاقَ الفزارِيِّ » .

و « الحسن بن سفيان » عن « أبي بكر بن أبي شيبة » « المغازي » .

ولكلٍ من « أبي بكر بن أبي خيثمة » .

وَ « أبي القاسم بن عساكر » في « تاريخهما ، وكذا « ابن أبي الدمَّ » .

و « أبي زكريا النووي » في « تهذيب الأسماء واللغات » .

و « أبي الحجاج المزي » في « تهذيب الكمال » .

و « أبي عبد الله الذَّهبيِّ » في « تاريخه » .

و « العماد بن كثير » في مقدِّمة « بدايته » .

وَ« أبي الحسن الخزرجِيِّ » في مقدِّمة « تاريخ اليمن » .

و « التَّقِيِّ الفاسي » في « تاريخ مَكَّةَ » في آخرين .

سِيرَةٌ مُطَوَّلَةٌ لبعضهم ، « كابنِ عَسَاكِرَ » ، أو مُخْتَصَرَةٌ .

---

(١) يبدو أنَّ في النصِّ اضطراباً لم يستطع محققُ « الإعلان بالتوبيخ » إصلاحَهُ .

وأفردها :

« أبو الشيخ بن حيَّانَ » .

و « أبو الحسن بن فارس اللُّغويُّ » .

و « أبو عمر بن عبد البَرِّ » في « الدُّرَرِ في اختصارِ المغازي وَالسيَرِ » .

و « أبو محمد بن حزم » .

و « الشرف أبو أحمد الدِّمْيَاطِيُّ » .

و « عبد الغني المقدسيُّ » ، وكَتَبَ على كتابِهِ « القطبُ الحلبيُّ » « المورد الهني » وهو نافعَ جِداً . و « أبو عبد الله الذَّهبي » و «أبو الفتح ابن سيد الناس» في «عيون الأثر» وما أحْسَنَهُ ! ، كَتَبَ عليهِ « البرهَانُ الحلبيُّ » – تعليقاً – في مجلدين سمَّاه : « نُور النِّبْرَاس » يعني : « المصباح » ، وفي «نور العيون» وهو مختَصَرٌ ، وقالَ «ابنُ القَوْبَعِ» : «إنَّه أوقفه على «العُيُونِ» فَعَلَّمَ عليها على أكثر من مائة موضعٍ أوْهَامٍ .

و « أبُو الرَّبِيعِ الكَلاعِيُّ » ، وضمَّ إليها سيَرَ الثلاثَةِ الخلفاء ، وسماه: « الاكتفاء » .

و « للعَلاءِ عَلِيٍّ بن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ البغداديِّ الخازِنِ » صاحبِ « مقبول المنقول » – سيرَةٌ مُطَوَّلَةٌ – .

وَكذا«لِلظَّهيرِ عليٍّ بن محمَّدِ بن محمودِ الكازَرونيِّ ثُمَّ البغداديِّ »،وهو سابقٌ عليه«سيرةٌ».

و « المحبُّ الطَّبريُّ » .

و « القاضي عز الدين بن جَمَاعة » في تصنيفين .

و « الشَّمْسُ البِرْمَاوِيُّ » كذلك . وله على أحدهما حاشيةٌ ، أفردها مضمومةً للأصلِ « التَّقِيُّ بنُ فَهْدٍ » ، سوى سيرَةٍ لَهُ في مجلَّدَين .

وَ « العَلاء علي بن عثمان التركمانيُّ » الحنفِيُّ .

و « أبو أمامة بن النقَّاش » .

و « الشمس بن ناصر الدين » في مؤلفٍ حافلٍ مُتقَنٍ .

و « التَّقِيُّ المقريزيُّ » في كتابه : « الإمتاع » وفيه الكثير ممَّا يُنتقَد .

و « لعثمَان بن دَرْبَاس الماراني » : « الفوائد المنيرة في جوامع السيرة » .

و « كذا » الشهاب أحمد بن إسماعيل الإبْشيطي الشافعي» الواعظ ، المُتَوَفَّىا في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٢ م) ، كتاب جامع ، كتبَ منه نحو ثلاثين سفراً ، يحتوي علَى « سِيرَةِ ابنِ إسحاقَ » مع ما كتبه «السُّهَيْلِيُّ» وغيره عليها ، وما اشتملت عليه « البداية » « لابن كَثِيرٍ » ، وعلى ما احتوتْ عليه « المغازي » للواقدي » وغير ذلك ضابطاً للألفاظ الواقعة فيها ، وكان زائد اللهج بهـا .

ونَظَمَهَـا :

« الفتح بن مسمار » .

و « الشِّهاب بن العماد الأَقْفَهسيُّ » .

و « البِقَاعِيُّ » .

وشرح كل نظمه ، وكذا نظمها « العزُّ الديريني » .

و « فتح الدين بن الشهيد » في بضع عشرةَ ألف بيتٍ ، مع زياداتٍ دلتْ عَلَى سعة باعه في العلم.

و« الزَّيْنُ العِرَاقِيُّ » في « أَلْفِيَّتِهِ » الَّتِي مَشَى فيها على سيرَةٍ مختصرةٍ لِ « العَلاء مُغُلْطَاي » . كتب على هذه المختصرة ، و « فوائد الشمس البِرماوي » و « الشرف أبو الفتح المراغي » وجرَّدَ ذلكَ في تصنيفٍ مُفْردٍ « التَّقِيُّ بنُ فَهْدٍ » .

وشرحَ النَّظْمَ «الشهابُ بنُ رسلان» ، وَمِنْ قَبْلِهِ « المحبُّ بن الهائم » ، الفريد في الذكاء ، وهُوَ مُطَوَّلٌ ، وَقَفْتُ على مجلَّدٍ منه قَرَضَهُ[1] له الناظم وغيره . وكذا شرح شيخنا بعضَ أبياتٍ مِنْ أوَّلِهِ . وَتَمَّمْتُ عليه وأرجو تَحْرِيرَهُ وإبْرازَه .

ونظم « سيرة مُغُلْطَاي » أيضاً في زيادة عَلَى أَلْفِ بيتٍ ، « الشمسُ الباعونيُّ الدِّمَشْقِيُّ » ، أخو الأستاذ « البُرْهَان » . وسمِعْتُ بعضَهُ منه ، وسمَّاهُ : « منحة اللبيبِ في سيرَةِ الحَبِيبِ » .

وأفْرَدَ مولدَهُ[2] بالتَّأْلِيفِ غيرُ واحِدٍ .

كـ « أبي القاسم السَّبْتِيِّ » في « الدُّرِّ المُنَظَّمِ في المولِدِ المُعَظَّمِ » في مجلدين ، استَطْرَدَ فيه لزوائد على موضوعه .

ثُمَّ « العِرَاقِيِّ » .

و « ابن الجزريِّ » .

---

(١) ربما كان الصواب : قَرَّظَهُ .

(٢) أي : « مولد الرسول » — ﷺ — .

و « ابن ناصر الدين » .

وأسلافِهِ (١) « محمَّدُ بن إسحاق المُسَيَّبِيُّ » .

و « أسمائِهِ « أبو الخطَّاب بن دِحْيَةَ » .

و « القُرْطبي » وغيرهما ، نظماً ونثراً ، وبلغتها نحو خمسمائةٍ ، وهي قابلةٌ للزيادة ، وأكثرُهَا أوْصَافٌ .

و « ختِنَانِهِ » وأنهُ وُلِدَ مختوناً ، « الكمال بن طلحة » ، وردَّ عليه ، في تصنيفٍ أيضاً « الكمالُ أبُو القاسمِ بنُ أبي جرادة » .

« وَلأبي بكر الخرائِطِيِّ » : « هَوَاتِفُ الجانِّ ، وعجيبُ ما يُحكى عنِ الكُهَّانِ » ، مِمَّنْ بَشَّرَ « بالنَّبِيِّ » – ﷺ – بِوَاضِحِ البُرْهَانِ » .

وكذا لـ « ابن أبي الدُّنْيَا » : « الهواتِف » .

ولـ « ابن دُرُسْتُوَيْه » : « حديث قسِّ بن ساعدة » .

و لـ « هشام بن عمار » : « المبعث » .

ولـ « أبي الخطَّاب بن دِحْيَةَ » وغيرِهِ : « المعراج » .

وجَمَعَ « دَلائِلَ النُّبُوَّةِ » كثيرونَ مِنْهُمْ :

« أبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ » .

وَ « ثابِتُ السَّرَقَسْطِيُّ » .

وَ « أبُو القَاسِمُ الطَّبَرَانِيُّ » .

وَ « التَّيْمِيُّ » .

وَ « أبو عَبْدِ الله بْنُ مَنْدَةَ » .

وَ « أبُو الشَّيخ بن حبَّان » .

وَ « أبُو نُعَيْمْ الإصْبَهَانِيُّ » .

وَ « أبُو بَكْرٍ بن أبي الدُّنْيَا » .

وَ « أبُو أحْمَد بن العَسَّال » .

وَ « أبُو بَكرِ النَّقَّاشُ » المُفَسِّرُ .

---

(١) التقدير : وألف في أسلافِهِ ، وَأسمائِهِ ، وَختَانِهِ الخ . . .

وَ « أَبُو العَبَّاس المُسْتَغْفِرِي» .
وَ « أَبُو الأَسْوَدِ عبدُ الرَّحمن بن الفيض » .
وَ « أَبُو ذَرٍّ المَالِكِيُّ » .
وَ « أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ » .
وَهُوَ أَحفظُهَا ، كما بينتُه في جزءٍ مُفردٍ في ختمِهِ .
وكذا جمعها مع غرائبِ الأحَاديثِ « إبرَاهِيمُ بنُ الهيثمِ البَلَدِيُّ » .
وَ « أَعْلاَمُ النُّبُوَّةِ » : « أَبُو مُحَمَّدِ بنُ قُتَيْبَةَ » .
وَ « أَبُو دَاود » ــ « صَاحِبُ « السُّنَنِ » .
وَ « أَبُو الحُسَيْنِ بنُ فَارِسَ » .
وَ « أَبُو الحُسَيْنِ المَاوَرْدِيُّ » الفَقيه .
وَ « قَاضِي الجمَاعَةِ » « أَبُو المُطَرِّف المَغربيُّ » .
وَ « العلاءُ مُغُلْطَاي » .
وَ « الشَّمَائِلُ النَّبَوِيَّةُ » .
« أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ » .
« و « أَبُوُ الْعَبَّاسِ المُسْتَغْفِرِيُّ » .
وَ « أَبُو بَكْرِ بْنُ طُرْخَانَ البَلْخِيُّ » .
وكَتَبْتُ منْ شرحِ أَوَّلِهَا قطعةً . ورَأَيْتُ قطعةَ مِنْ مُسَوَّدَةٍ بخَطٍّ « الجمَالِ بن الظَّاهِرِ » كالمستخرج عليها .
وَ « الصِّفَةَ النَّبَوِيَّةُ » :
وَ « أَبُو البَحْتَرِيِّ » .
وَ « أَبُو عليِّ محمَّد بن هارون » .
وَ « الأخلاقُ النَّبَوِيَّةُ » .
وَ « إسْمَاعِيلُ القاضي » .
و « صِفَةُ نَعْلِهِ الشَّرِيف » : « أبو اليمن بن عساكر » .
وَ « الهَدْيُ النَّبَوِيُّ » : « ابْنُ القَيِّمِ » وغيرُه .

وَ « لأبي نُعَيْمٍ و « المُسْتَغْفِرِيَ » .

وَ « الضِّيَاءِ المَقْدِسِيِّ » : « الطِّبُّ النَّبَوِيَ » .

وَ « القَاضي عياض » : « الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصطَفى » .

وقَدْ شَرَحْتُ شَأنَهُ وَبَيَانَ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ في مؤلَّفٍ لي في خَتْمِهِ .

و « لأبي الرَّبيعِ سليمان [. . .] بن سَبُع السَّبْتِيِّ »: «شفاء الصُّدُور» في مُجَلَّدَاتٍ . واخْتَصَرَهُ بعضُ الأئمَّةِ . وفيه مناكيرُ كثيرةٌ .

وَ لِـ « أبي الفَرَجِ بن الجوزيِّ » : « الوفا بالتعريفِ بالمصطفى » .

وَ لِـ « ابن المنير » : « الاقتفا » .

وَ لِـ « أبي سعدِ النَّيْسابوري » : « شَرَفُ المصطَفى » في مجلداتٍ .

وَ لِـ « جعفر الفرْيابي » : « المعجزات » و « تكرير الطَّعام والشَّراب » .

وكذا لغيره : « المعجزات » .

وَ لجماعةٍ : « كالماورديِّ » ، و « ابن سبعٍ » و « الجلالِ البُلْقيني » : « الخصائص » .

وَ « لأبي أحمد العَسَّال » وَ « أبي الشيخ بن حيَّان » : « خطبه » — ﷺ — .

وأفردَ بعضُهم « خطْبَةَ الوداع » ؛ وهي فيما قَالَ « ابن بَشْكوال » آخرُ خُطَبِهِ .

بَلْ لبعضِهِم كلماتُه المفردة .

و « للطَّبرانيِّ » ، و « أبي عبدِ الله بنِ مَنْدَةَ » : « نَسب النَّبيِّ » .

وكذا لِـ « عُمَارَةَ بن زَيْدٍ » : « مكاتباتُه — ﷺ — لِلأشْرَافِ وَالمُلُوكِ » .

ولغيرهم : « الوَفَاةُ النَّبَويَّة » .

وَ « للبَيْهَقِيِّ » : « حَيَاةُ الأنْبياء في قُبورِهِمْ » .

ولآخرين : « فَضْلُ الصَّلاةِ على « النَّبيِّ » — ﷺ — » .

كـ « إسماعيل القاضي » و « أبي بكر بن أبي عاصم » . ومَنْ سَرَدْتُ أَسْماءَهُمْ في خاتمَةِ كتابي : « القولُ البديع في الصَّلاةِ عَلى الحبيبِ الشَّفيعِ » . ولِـخَلْقٍ كَمَا سيأتي : « أصحابه » مع بيانِ من أفرد منهم : «أرْدَافُهُ»[1] و « أزواجُه » ممَّن جمعَهُنَّ « الدِّمياطِيُّ » . و «كُتَّابُهُ».

---

(١) « الأَرْدافُ » : الَّذينَ يركَبُون معهُ — ﷺ — عَلى جَمَلٍ أثْنَاء الغزواتِ .

و «مواليه» . و « كُتَّابُهُ »: ممَّنْ جمعهمْ « عَبْدُ اللهِ بنُ عليٍّ بن أحمدَ بن حَدِيدَةَ » وَسَمَّاهُ : « المِصْبَاحُ المُضي في كُتَّابِ النَّبِيِّ » .

إلى غيرِها ممَّا لو حَصَلَ التَّصَدِّي لجَمْعِهِ كُلِّه في كِتابٍ لكانَ في عِشرينَ مجلداً فأكثر»][1]

وَمِمَّن ألَّفَ في «السِّيرَةِ» وَلم يأتِ عَلى ذِكْرِه «السَّخاويُّ» في كتابِه «الإعلان بالتوبيخ» :

« ابن أبي طي يحيى بن حَمِيدَةَ » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

و « علاء الدين علي بن محمد الخلاطي » الحنفي المتوفى سنة ٧٠٨ هـ .

و « شهابُ الدين الرعيني الغرناطيُّ » المتوفّى سنة : ٧٧٩ هـ .

و « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر » الأندلسيُّ » المتوفّى سنة ٧٨٠ هـ .

وَمِنَ البَدَهِيِّ أنَّ كُتُبَ « السِّيرَةِ » وَ« المَغَازِي » الَّتِي أتَى عَلَى ذِكْرِها «السَّخاويُّ» مَا هِيَ إلاَّ جَانِبٌ مِمَّا أُلِّفَ فِيهَا . فَهُوَ لَمْ يغْفِلْ ذِكْرَ المُؤَلَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ ـ الحَوْلِيَّاتِ ـ الَّتِي خَصَّتْ « السِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ » بِجَانِبٍ مِنْهَا « كَتَارِيخِ الرُّسُلِ وَالمُلُوكِ » « لِلطَّبَرِيِّ » المُتَوَفّى سنة (٣١٠ هـ/٩٢٣ م) ، وَ« الكَامِلِ فِي التَّارِيخِ » « لابْنِ الأثِيرِ » الإمام عز الدِّين أبي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيِّ»المتوفّى سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) ، و « التَّارِيخِ الكَبِيرِ » أو « تاريخ الإسْلامِ وَطَبَقَاتِ المشَاهِيرِ والأعلامِ » لِلحَافِظِ شَمسِ الدِّينِ « أبِي عَبْدِ اللهِ مُحمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عثمَانَ الذَّهَبِيِّ » المُتوفّى سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) و «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » لِلإمَامِ عِمَادِ الدِّينِ أبِي الفِدَاءِ «إسماعيل بن عمر بن كثيرٍ القُرَشِيِّ » المُتَوَفّى سَنَةَ (٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م) وَهو لم يغفل ذِكْرُ مُؤَلَّفَاتِ أصْحَابِ تَوَارِيخِ المُدُنِ كَ « تاريخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ » للإمَامِ الحَافِظِ « أبِي القَاسِمِ » عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ ، المعروفِ بِ « ابْنِ عَسَاكِرَ » المُتَوَفّى سَنَةَ (٥٧١ هـ/١١٧٦ م) ، وَلا كُتُبَ الطَّبَقَاتِ وَالتَّرَاجِمِ كَ « طَبَقَاتِ ابنِ سَعْدٍ » لِ « مُحَمَّدِ بنِ سَعْدٍ » المُتَوَفّى سَنَةَ (٢٣٠ هـ/٨٤٥ م) ، وَلاَ كُتُبَ الأنسابِ كَكِتَابِ « أنْسَابِ الأشْرَافِ » لأحْمَدَ بْنِ يَحْيَى « المَعْرُوفِ » بِ « البَلاذُرِيِّ » المُتَوَفّى سَنَةَ (٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) . ولا كُتُبَ « الوفيات » كَ « الوَافِي

(١) « الإعلانُ بالتوبيخِ : ١٥٧ ـ ١٧١ » .

في الوَفَيَاتِ » للصَّلاحِ الصَّفَدِيِّ « خَلِيلِ بْنِ أَيْبَكَ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م) ، وَلا كُتُبُ أَصْحَابِ الجَمْهَرَاتِ العَامَّةِ » كَكِتَابِ « نِهَايَةِ الأَرَبِ فِي فُنُونِ الأَدَبِ » لِـ « شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ النُّوَيْرِيِّ » المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ هَذِهِ المُؤَلَّفَاتِ فِي نِطَاقِ مَظَانٍّ تَرْتِيبِهَا فِي كِتَابِهِ .

وَمِنْ نَافِلَةِ القَوْلِ أَنَّ سِلْسِلَةَ التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ فِي « فَنِّ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » لَمْ تَنْقَطِعْ بَعْدَ « السَّخَاوِيِّ » فَقَدْ وَضَعَ « الشَّمْسُ الشَّامِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ الصَّالِحِيُّ » المُتَوَفَّى سنة (٩٤٢ هـ/١٥٣٦ م) كِتَابَهُ : « سُبُلَ الهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ العِبَادِ » المَشْهُورِ بِـ « السِّيرَةِ الشَّامِيَّةِ » الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ أَلْفِ كِتَابٍ — وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ قَيْدَ الطَّبْعِ ، وَقَدْ طُبِعَ بَعْضُ أَجْزَائِهِ — .

وَوَضَعَ «الشَّيْخُ الإِمَامُ وَجِيهِ الدين عبد الرحمن بن علي بن الدَّيبع» المتوفَّى سنة (٩٤٤هـ / ١٥٣٧ م) سِيرَتَهُ هَذِهِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَالَّتِي تُنْشَرُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ .» .

وَصَنَّفَ « الإِمَامُ الشَّيْخُ حسين بن محمد الديار بكري المُتَوَفَّى سنة (٩٦٦ هـ/١٥٥٩ م) كِتَابَهُ « تَارِيخَ الخميس في أَحْوَالِ أَنْفَسِ نَفِيسٍ » فِي مجلَّدين — فَأَجْمَلَ فِيهِ « السِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ وتاريخَ الخُلَفَاءِ وَالمُلُوكِ » .

وَصَنَّفَ « النُّورُ الحَلَبِيُّ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ أَحْمَدَ » المُتَوَفَّىسنة (١٠٤٤ هـ/١٦٣٥م) كِتَابَهُ « إِنْسَانَ العُيُونِ فِي سِيرَةِ الأَمِينِ المَأْمُونِ » المَعْرُوف بِـ « السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ » .

وَأَوْجَزَ « شَيْخُ الإِسْلامِ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ » المُتَوَفَّى سنة (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢ م) السِّيرَةَ » فَوَضَعَ « مُخْتَصَرَ سِيرَةِ « الرَّسُولِ » — ﷺ — فَسَلَكَ فِيهِ مَسْلَكَ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ الأَحْوَالِ ، وَنَبَّهَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » .

وَوَضَعَ أَيْضاً الإِمَامُ « بَدْرُ الأَعْلامِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الشَّيْخِ محمَّد بنِ عبدِ الوَهَّابِ » المُتَوَفَّى بِمِصْرَ سَنَةَ (١٢٤٢ هـ/١٨٢٦ م) « مُخْتَصَرَ سِيرَةِ « الرَّسُولِ » — ﷺ — » ، وَهِيَ سِيرَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ ، أَصْغَرُ مِنْ « سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ » وَأَكْبَرُ مِنَ المُخْتَصَرِ الَّذِي أَلَّفَهُ وَالِدُهُ .

وَلَقَدْ حَظِيَ العصرُ الحاضرُ بظهورِ طبقةٍ مِنَ الكتَّابِ المرمُوقِينَ، فَوَجَّهُوا عنايتَهم للكِتَابَةِ في موضوعِ « السِّيرَة النَّبويَّةِ » نخصُّ بالذكرِ منهم :

الشيخ محمد بن عفيفي الباجُورِيِّ » المعروف بالشيخ « محمد الخضري » المتوفى سنة (١٢٤٥هـ/ ١٩٢٧ م) فصنَّفَ كتاب « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » .

ومحمد أحمد جاد المولى المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤ م) فصنَّفَ كتاباً بعنوان : « محمَّد — ﷺ — المثل الكامل » .

و « مصطفى الغلاييني » المتوفَّى سنة (١٣٦٤ هـ/١٩٤٤ م) صنَّفَ كتاباً سماه « لباب الخيار في سيرة النبي المختار » .

و « محمد رضا » المتوفى سنة (١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م) عمل كتاباً بعنوان : « محمد — ﷺ —» .

و « محمد لطفي جمعة » المتوفَّى سنة (١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م) أَلَّفَ كتاباً جعَلَ عنوانَهُ : « ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله » وقد صدر هذا الكِتابُ بعد وفاة مؤلفِه سنة (١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) .

و « محمد حسين هيكل » المتوفَّى سنة (١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م) أَلَّفَ كتاب « حياة محمد — ﷺ —

و « محمد الخَضِرُ حسين » المتوفَّى سنة (١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م) وضعَ كتاباً بعنوان : « محمَّد — رسول الله — وخاتم النبيِّينَ » .

و « عباس محمود العقاد » المتوفَّى سنة (١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م) صنَّف كتاب « عبقرية محمد »

و « مصطفى بن حسني السباعي) المتوفَّى سنة (١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م) صنَّف كتاب « السِّيرَة النبوية » — تاريخها ودروسها صدر بعد وفاته .

و « طه حسين » المتوفَّى سنة (١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م) كتب « على هامش السيرة » في أسلوب فني رائق .

والشيخ « محمد بن أحمد أبو زهرة » المتوفَّى سنة (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م) أَلَّفَ كتاباً في «السيرة»

ومن التصنيفات في « فقه السيرة » ما كتبه « محمد الغزالي » و « محمد سعيد رمضان البوطي » .

و « نظمي لوقا » الكاتب المصري الذي وضع كتاباً في « سيرته » — ﷺ — .

ونقل إلى اللغة العربية من اللغة الإنكليزية كتاب « محمد رسول الله » تأليف « مولاي محمد علي» وقد صدرت لهذا الكتاب ترجمتان : الأولى في «مصر» بقلم «مصطفى فهمي» و « عبد الحميد جودة السحار » ، والثانية في «لبنان» بقلم « الأستاذ منير البعلبكي » .

ونقل إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية كتاب « حياة محمد » للمستشرق الفرنسي « إميل درْمِنْغم » ، وقد قام بنقله إلى العربية « عادل زعيتر » .

وهناك أبحاثٌ وكتبٌ خُصِصَ « الرَّسُولُ » - ﷺ - بِهَا جاءت في مؤلَّفات الغربيين :

فترجم « كارليل » الإنكليزي « الرَّسول » - ﷺ - في كتابه « الأبْطال » .

وَألَّفَ باللغة الانكليزية المستشرق النمسويُّ « ألويس سبرنجر بن كرستوفر » المتوفَّى سنة (١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م) كتاباً في « السيرة النبوية » بعنوان « حياة محمَّد » .

وصنَّف باللغة الإنكليزية المستشرق البريطاني الإسكتلندي الأصل « وليم موير » المتوفَّىٰ سنة (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) كتباً في « السيرة النبوية » .

وكتب المستشرق الفرنسي « بول كَزَنُوفا » المتوفَّى سنة (١٣٣٤ هـ / ١٩٢٦ م) كتاباً بالفرنسية عن « محمَّد » - ﷺ - ونهاية العالم » .

وكتب المستشرق الألماني « تيودور نولدكه » المتوفَّىٰ سنة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) كتابه عن « حياة النبي « محمَّد » .

وعمل المستشرق الدانمركي « فرانتس بوهل (بول) » المتوفَّى سنة (١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م) كتاب « حياة محمَّد » فكتبه باللغة الدانمركية ثمَّ ترجمه إلى الألمانية .

ونحنُ نعجز عن ذكرِ كلِّ ما أُلِّفَ من كتُبٍ حولَ شخصيَّةِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - ولكن نعلم أنَّ الجمَّ الغفيرَ من الكتب بمختلف اللغات في الغرب والشرق قد عالجت موضوع « السيرة النبوية المحمدية » إلاَّ أنَّ كتابات هؤلاء الكتاب يتنازعها الهوى بين منصفٍ ومُغْرِضٍ ونمسكُ عن ذكرِ ذلك لضيقِ المجال .

ومن الجلي أنَّ حياة « رسول الله » - ﷺ - كانتْ واضحةً كلَّ الوضوح في جميعِ مراحلِها ، منذ زواج أبيه « عبد الله » بأمه « آمِنة » إلى وفاته - ﷺ -، فنحنُ نَعْرِفُ الشيءَ الكثيرَ عن ولادتِه وطفولتِه وشبابِه ومكسبه قبل النبوَّة ورحلاته خارج مكة ، إلى أن بعثه اللهُ رسولاً كَرِيماً ، ثمَّ نعرفُ بشكلٍ أدق وأوضح وأكمَل كلَّ أحوالِه بعد ذلك سنةً فسنة ، ممَّا يجعلُ سيرَتَه - ﷺ - واضحةً وضوحَ الشمس ، وذلك ما حدا ببعضِ النقَّادِ الغربيِّينَ إلى القولِ : « إنَّ « محمَّداً » - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - هو الوحيد الذي وُلِدَ عَلَى ضَوْءِ الشَّمسِ » ، وهذا ما لم يتيسَّر مثله ولا قريب منه لِرسولٍ مِنْ رُسُلِ اللهِ السَّابِقِينَ » .

وفي الختام ، فإنَّ سيرةَ « الرَّسولِ » – ﷺ – تحكي سيرةَ إنسانٍ أكرمَهُ اللهُ بالرسالةِ ، وأكرمَهُ اللهُ بالخُلُقِ الرَّفيعِ والسُّلوكِ السَّويِّ ، والتَّفكيرِ السَّديدِ ، فكانَ الإنسانَ الكامل ، ولم تلحق حياته بالأساطيرِ ، بل كانَ بشراً نبيّاً . ولَقَدْ أعْلى « اللهُ » – سُبحانَه وتعالى – من شأنِهِ ، ومدحَهُ بقولِه : ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وحَضَّ – سبحانَهُ وتعالى – المؤْمِنِينَ عَلى التَّأسِّي « بِرسولِ اللهِ » – ﷺ – فقالَ عزَّ من قائلٍ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ .

وإنَّا لنرجو من الله – سبحانه وتعالى – أنْ ينفعَ المؤمنينَ بهذهِ السِّيرَةِ الشريفة ، بالإقبالِ عليها والانتفاع بها ، وبالاقتباسِ من فضائلِهِ – ﷺ – ومزاياه ، وأنَ يهديَنا إلى سواء السَّبيلِ ، واللهُ وَليُّ التَّوفيق .

عصر المؤلف

عرض تاريخي لعصر المؤلف

يَجدُرُ بِنَا قَبْلَ الدُّخُولِ في تَرْجَمَةِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيباني » أَنْ نَأتي بِلَمْحَةٍ تُنيرُ جوانبَ العصْرِ الذي عَاشَ أيَّامَه المضطربة وَأَنْ نُشيرَ إلى الحَوادِثِ الَّتي عَاصَرَهَا وَأَنْ نُبْرِزَ مظاهرَ الحياةِ العامَّةِ والسياسيَّةِ التي سادَت «اليَمَنَ » حتّى نُدْرِكَ طَبيعَةَ ذلكَ العصرِ ، على وجهِها الجليِّ وواقعِهَا الحقيقيِّ .

عاصَرَ « ابْنُ الدَّيبعِ » حكمَ « بَني طاهرٍ » في « اليمَنِ » في وَقْتٍ ارتقَتْ فيهِ هذهِ الأسرَةُ العربيَّةُ القُرَشيَّةُ الأمويَّةُ إلى حُكمِ المدنِ السَّاحليَّةِ وَالمدُنِ القَريبةِ منَ السَّاحلِ اليمَنِي فحكمتْ « عَدَنَ » و « زَبيدَ » . وَتَلَقَّبَ ملُوكُ هذهِ الأسرَةِ بالسَّلاطينِ .
حَكمَ « بَنُو طَاهِرٍ » في « اليَمنِ » من سنة (٨٥٨ — ٩٢٣ هـ = ١٤٥٤ — ١٥١٧ م) وَاستمرَّ حكمُهم قرابةَ ثلاثةٍ وستِّينَ عاماً ، أنشأ حكمَ هذهِ السُّلالةِ « طاهرُ بنُ مَعُوضَةَ » عندما اكتَسبَ حمايةَ « الملكِ النَّاصرِ أحمد الرَّسُولي » وَتأييدَهُ وشارَكَ « طاهراً » في توطيدِ حكمِهِ في « اليمنِ » وتثبيتِ الملكِ في بيتِهِ وَلداهُ :

« الملكُ الظافرُ صلاحُ الدينِ عامر الأوَّل بن طاهر بن معوضة » .

وَ « الملكُ المجاهدُ شمسُ الدِّين علي بن طاهر بن معوضة » .

وعندما حلَّتْ سنة (٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) أدركَ « الملكُ المسعودُ الرَّسولي » الذي حَكمَ ما بينَ سنة (٨٤٧ — ٨٥٨ هـ) = (١٤٤٣ — ١٤٥٤ م) أنَّهُ لنْ يقوَى على مواصلةِ الحكم ومُجَابَهَةِ الضرباتِ التي وجَّهها له « بنُو طاهرٍ » فانسحبَ منَ اليمنِ وَلجأَ إلى « مكَّةَ » وَاختارَ لنفسهِ العزْلةَ ، وخلا الحكمُ للأخوَينِ ، بَعْدَ انحسار حكم «بَني رَسُولٍ» وغُروب شمسهم عن « اليمنِ » وتولي الدنيا عن دولتِهمْ ، وحلول السعد في منافسيهِمْ « أَبْنَاء طَاهِرٍ » .

فحكمَ « عَامرٌ » مستقلاً في « زَبيد » وَافْتتَحَ مَا جَاوَرَها ، فكانَ لَهُ مِنْ « حَيْس » إلى « عَدَنَ » وَمَا يلحقُ ذَلكَ « كتَعزَّ » و « إبَّ » ثمَّ ضَمَّ إليْهِ « ذِمَاراً » وَحاوَلَ الاستيلاء عَلى « صَنْعاءَ » فهاجمَها خمْسَ مرَّاتٍ فامتنعَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ عَلى بابِها حوالي سنةَ (٨٦٩ هـ = ١٤٦٤ م) .

وَأَخذَ « عليٌّ » أرْضَ « تِهامَةَ » (١) مِنْ « حَرَض » إلى « حَيْسٍ » مُدُنَها وَبَنادِرَها وبرَّها وبحرَها مع ما يتّصِلُ بذلك من جزائر « فَرَسَانَ » و « كَمَرَانَ » . ولمَّا قُتِلَ أخُوهُ « عامِرٌ » ضَمَّ « الملكُ المُجاهِدُ عَلِيٌّ » البِلادَ الّتي كانَ حَكَمَها أخُوهُ مِنْ « حَيْسٍ » إلى « عَدَنَ » وَمَا يلحقُ بها من مُدُنِ الجبالِ كـ « تَعزَّ » و « إبَّ » و « جِبْلَةَ » وَ « ذِمارٍ » .

وَعكفَ « الملكُ المُجاهِدُ عَلِيٌّ » على إصْلاحِ بِلادِهِ ، وَبنى فيهَا المَساجِدَ وَالرُّبُطَ ، وفرَضَ الرُّسومَ . وكانَ « الملكُ المجَاهِدُ » أحَبَّ إلى أهْلِ زَمَانِهِ مِنْ أخيهِ « الملكِ الظّافِرِ » وَأكبرَ سنّاً ، وَكَانَ فَاضِلاً قَوِيَّ الشَّكِيمَةِ على المُفسدِينَ ، كريماً ، وَلَهُ آثارٌ في « تَعزَّ » وَ « عَدَنَ » و « زَبِيدِ » . وَهُوَ الّذي غَرَسَ النَّخْلَ ، وَقَصَبَ السُّكّرِ ، والأرزَّ في « وَادي زبيدِ » . . وعهد « الملكُ المُجَاهِدُ » بالملكِ مِنْ بَعدِهِ لابْنِ أخيهِ عبدِ الوهَّابِ بنِ دَاودَ ابنِ طاهرِ بن مَعوضَةَ » ، وعندَ وفَاةِ المجاهِدِ سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) خَلَفَهُ بالسَّلطنَةِ وتَلَقَّبَ بِـ « الملكِ المنصورِ تاج الدِّين عَبدِ الوهّابِ » . وكانَ حَلِيماً ذَا رَأيٍ وَبَأسٍ ، ولهُ آثارٌ في « اليمَنِ » وكانتْ إقامتُهُ في « زَبِيدِ » وتوفيَ فيها سنةَ (٨٩٤ هـ = ١٤٨٩ م) .

وآلَتِ السَّلطَنَةُ بعدَ وفاةِ « الملكِ المنْصُورِ تاجِ الدِّينِ عَبْدِ الوَهَّابِ » إلى وَلَدِهِ ، « الملكِ الظّافِرِ صلاحِ الدينِ عامرِ الثَّاني بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ دَاوُدَ بنِ طاهرِ بنِ مَعُوضَةَ » وكانَ شديدَ الشَّكيمَةِ ، بَطَّاشاً ، أقَامَ فِي«زَبيدِ » واستوْلى عَلى « صَنْعاءَ » ففتكَ بِبَعْضِ أعْيانِهَا ، وَامْتَدَّ سُلْطَانُهُ في جَميعِ « اليَمنِ »، وكانَ مِنْ مآثِرِهِ عمارَةُ الجامعِ الأعْظَمِ في مدينةِ « زبيدِ » وعِمَارَةُ مدرَستَينِ ، وَإجْرَاءُ العَينِ في «تَعزَّ»، وبناءُ مدرسَةٍ عَظِيمَةٍ في « عَدَنَ » وكثيرٍ مِنَ المَسَاجِدِ وَالمدَارِسِ وَالصَّهَاريجِ والآبَارِ في أمَاكِنَ مُختَلِفَةٍ .

---

(١) بكسر التَّاء .

وَبالرغمِ منْ بَطش«الملكِ الظّافِرِ صلاحِ الدينِ عامر الثاني»وَشدّتِه على النّاسِ فَقَدْ تدَهْوَرَتِ الأحْوَالُ العامّةُ في «اليمَنِ» ، فتهَاوَنَ النّاسُ في أمُورِ الدّينِ ،وَانحلّتْ عُرَى الأخْلاَقِ القَوِيمَةِ ، وَسادَتِ المفاسدُ ، واستُحِلّتْ حُرُمَاتُ اللهِ ، وَتَرَدّتِ الأحْوَالُ الاجْتِمَاعيّةُ وَساءَتِ الحالُ الصحيّةُ ،وَهَا هُوَذَا«ابنُ الدّيْبَعِ»يَنْعى مَا حَلّ بقوْمِهِ منْ مفاسِدَ في تاريخِهِ «الفصل المزيد» فَيقُولُ في وَقَائِعِ شَهرِ صفر من سنة (٩٠٨/هـ/١٥٠٢م) :

[« ظَهَرَ في هذا الوقتِ في « زبيدٍ » مِنَ الفُسوقِ والفُجورِ،وشُربِ الخمُورِ،وشَهَادَةِ الزُّورِ مَا لمْ يكُنْ يَعْهَدُهُ مِثْلُهُ، حتى لَقَدْ وجد جماعة في نهار رَمضانَ يشرَبونَ الخَمْرَ . وبنى بعضهُمْ بزوجَةِ أبيهِ ، وتَظَاهَرُوا بصحبَةِ الأحدَاثِ،وَحُمِلَ بَعْضُ الصِّبْيَانِ إلى الأمَاكِنِ المُظْلِمَةِ لِلفُحْشِ ، وَفَشَا في النّاسِ الحبُوبُ المعروفَةُ بالنّارِ الفارِسِيّ بسبَبِ ذلكَ ، واللهُ الوَاقِي »] (١) .

وحَدَثَ في عهدِ حكمِ «عامرٍ الثّاني» أن طَلَبَ « سلطان كجرات » —الهند— « السلطان خليل شاه — مظفر شاه — ابن السلطان محمود شاه الكجراتي»(٩١٤ هـ = ١٥٠٨ م) مساعدَةَ « مصر » في عهدِ السلطانِ المملوكِي الجركسي « قانصوه الغوري » العوْنَ منه لمكاتَفتِهِ عَلَى « البرتُغاليِّينَ » الذينَ وصلَتْ أساطيلُهُم البحريّةُ إلى سواحِلِ الهندِ. فاستجابَ « السلطانُ قَانْصُوه الغوري » لمطلبِ سلطان الكجرات وَأرْسَلَ « الغُورِي » أحدَ أمرائِهِ المقدمين ، « الأمير حُسَيْنَ الكردي » وجهّزَ معهُ عسكراً من « التُّرْكِ المغاربَةِ » المعروفين بِـ «اللّوَنْد» في نحو خمسين غراباً (٢) ، لدفعِ ضَرَرِ « الفرتقال » — «البرتغال» — في «بحر الهند »وكان مبادي ظُهُورِهِمْ .

والمشهورُ عَنِ « الأميرِ حسين الكردي » أنّهُ كَانَ ظَلُوماً غَشُوماً ، سَفّاكاً للدِّمَاء وكَانَ كردِيّاً دَخيلاً في طائفَةِ « الجَرَاكِسَةِ » فَأرادَ « السُّلطَانُ الغُورِيُّ » إبعادَهُ عَنْ

---

(١) « غَايَة الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢/٦٣٢ » .

(٢) « غراب » ج « غربان » : هو « الشيني »، من المراكب البحرية يجدفُ بمِائةٍ وأربعين مجدافاً ، وَفيه المقاتِلونَ والجدّافونَ » — « النجوم الزاهرة : ١١/٣٥ — الحاشية رقم (٤) — » .

« أمَرَاء الجراكِسَةِ » ، حِمَايَةً لهُ منْهُمْ . وكانَ « الغُوري » معتنياً به ،وَجَهَّزَ معهُ عمارةً لمُقَاتَلَة « الفِرَنج » الذينَ ظَهَرُوا في « بنادر أرْضِ الهنْدِ » وَاستطرقوا (تسلَّلُوا) إليْهَا من « بَحْرِ الظُّلُمَاتِ » — « المُحيط الأطلسي » — مِنْ وَرَاء«جبَالِ القُمْرِ » التي هِيَ منْبعُ مَاء « النِّيلِ » وَعَاثُوا في أرْضِ « الهنْدِ » وَوَصَلَ أذَاهُمْ وإفسادُهُمْ إلى « جزيرَةِ العَرَبِ » و « بنَادِرِ اليمن » . وَقَصَدَ « السُّلطانُ الغوريُّ » دفْعَ أذَاهُمْ عنِ المُسلمينَ بإرْسالِ « الأميرِ حسين الكردي » إلى « جُدَّةَ » . فتَقَوَّى بالمال وَتَأثَّلَ ، وَجَمَعَ خزَائِنَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، فتَوَجَّهَ إلى « الهنْدِ » فِي حدودِ سنة (٩٢١ هـ = ١٥١٥ م) وَدخلَها وَاجْتَمَعَ « بسلطان الكُجرات » يومئذٍ ، فَأكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَأنْعَمَ عليهِ بنعمَةٍ طائِلَةٍ جَزِيلَةٍ . فلمَّا سمِعَ « الفِرَنْجُ » بِهِ ارْتَفَعُوا عَنْ « بنَادِرِ كجرات » إلى « بنادر الدَّكَنِ » وَتحَصَّنُوا بِقَلْعَةٍ مُتقنَةٍ مُحكمَةٍ لهُمْ هُنَاكَ يُقال لها:« كُوَّه » — « غُوَّا » — . وَعَقِبَ إنْجَازُ « الأمير حسين الكردي » مهمَّتَهُ في « الهند » قَفَلَ راجِعاً إلى مصر ، وفي طريقِهِ إلى جُدَّة توجَّهَ « الأميرُ حسين » بأسطولِهِ نحوَ شواطىء « اليمنِ » . فكَاتَبَ « السلطانَ عامر الثاني ابن عبدالوهاب ابنِ دَاودَ » أنْ يُعينَهُمْ بشيءٍ مِنَ الميرَةِ لخُروجهِم من « الديار المصرية » لمقاتلة « الفرنج » — « البرتغاليِّينَ » — الَّذِينَ كَانُوا يتَخَطَّفُونَ مراكِبَ المسلمين ، فامتنَعَ « عَامِرٌ » فدخَلَ « الأميرُ حسين » بلادَهُ ، وَمعهُمُ البنَادِقُ ، وَلَمْ يكُنْ لأهْلِ « اليَمَنِ » عَهْدٌ بِهَا إذْ ذَاكَ ، فبعَثَ إليْهِمْ « عامِرٌ » جَيْشاً كَبيراً مِنْ أصْحَابِهِ ، وكانَ « الجرَاكِسَةُ » في قِلَّةٍ ، فوَقَعَ التَّلاَقِي ، فرَمَى « الجرَاكسَةُ » بالبنادِقِ ، فلَمَّا سَمِعَ « جَيْشُ عامِرٍ » أصْوَاتَها ، وَرَأوا القَتْلَى منْهُمْ ، فَرُّوا . فتبِعَهمْ « الجرَاكسَةُ » يقْتُلُونَ كَيْفَ شاءُوا، وَفَرَّ « عَامِرٌ » أيْضاً ، وتَبِعَهُ « الجرَاكِسَةُ » منْ مكانٍ إلى مكانٍ ، واسْتَوْلَى « حسين الكُرْدِيُّ » عَلى « زَبِيدٍ » ، وَنَصَّبَ أخَاهُ « برسباي » وقيلَ — بلْ هُوَ جركسِيٌّ مِنْ مماليكِهِ — نَائباً لَهُ في « زَبِيدٍ » سنةَ — (٩٢٢ هـ) = (١٥١٦ م) .

وَاستَمرَّتْ قوَّاتُ « الأميرِ حسين » الجركسية في مطاردةِ « عَامِرِ الثَّاني » وَأخيهِ « عبد

---

(٤) « العمارة » : مجموعة السفن ، « الأسطول » .

(٥) « البنادر » ج « بندر » : « مرسى السُّفن في الميناء » .

الملك » حتّى سقطا صريعين في جبل « نقَم » قرب«صنعاء » في الثالث والعشرين من ربيع السنة من عام (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) ، وقد عرَض « ابنُ الدَّيبَع الشَّيباني » خبرهما في كتابيْه : « بغية المستفيد بأخبار مدينة « زبيد » و « قرَّةُ العيُون بأخبار اليمَن الميمُون ».
وقدْ تأثّر « ابنُ الدَّيبَع » لمصرَعهما فرثاهما بقوله :

« أخلاَّيَ ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بعْدِ «عَامرٍ» وبَعْد أخيه أعدَلِ النَّاسِ بالنَّاسِ
فَمُذْ فُقِدَا وَاللهِ إنَّنـــا مِنَ الأمْنِ وَالإيناسِ في غَايَةِ اليَاسِ

وَدَخلَ « الجراكسَةُ » « صنعاءَ » سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) فَفَعَلوا أفاعيلَ مُنكَرةً » .

ثمَّ قصَدَ « الجراكسَةُ » في « اليمَن » « المتوكلَ علَى اللهِ شرف الدين يحيى بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى » فوقعَ الصلحُ على بقاء « الجراكسَةِ » في « صنْعاءَ » والإمَام في حصن « ثُلا » . واشترَطَ « الجراكسةُ » ملاقاةَ الإمَامِ » فاستشارَ « الإمامُ » أصحابَهُ فأشيرَ عليه بعدَمِ ذلكَ ، لمَا جُبِلَ عليهِ « الجرَاكسَةُ » منَ المكرِ والغَدْرِ ففعَلَ . فلَمَّا علِمَ « الجراكسَةُ » ذلكَ عادُوا إلى القتالِ فلمْ يظْفرُوا بطائلٍ .

وَفي وَهْلةِ هذهِ الحوادثِ بلغَ « الجراكسةَ » في «اليَمنِ» مقتلُ سلطانهمْ « قانصُوَة الغوري » لدى اشتباكهِ مع « السلطانِ سليم بن بايزيد العثماني » — صاحب الروم — في « معركة مرجِ دَابقٍ » — شمالي « حلَب » — ٢٥ رجب سنة (٩٢٣ هـ الموافق ٢٤ / آب ١٥١٦ م) ودخُول السلطان « حلَبَ » و « دمَشْقَ » و « مِصْرَ » وحينئذٍ أعلنَ « جَراكسَةُ اليمنِ » دخولَهم في طاعةِ « السلطانِ سليم » وجعَلُوا الخُطبَةَ في « اليَمنِ » باسمهِ .

وعندَ مآلِ الحوادثِ إلى هـٰذه الحالِ كَفَّ « الجَراكسةُ » عنْ مقاتلَةِ « الإمام المتوكلِ على اللهِ شرفِ الدين يحيى » ورجَعوا عمَّا كانوا فيهِ منَ القتالِ بعد عبثِهِمْ « باليَمَنِ »وقتلِهم النُّفوسَ البريئةَ ، وهتكِهِم الحُرَمَ ، ونهبِهِم الأموالَ .

وانفردَ الإمامُ بالحُكمِ فدانتْ لهُ « صنْعاءُ » وبلادُها ، و « صَعْدَةُ » وَما بينهما من المُدُنِ ، وَخضَعتْ لهُ بالطّاعةِ . ثمَّ عمِلَ الإمامُ على توْسيعِ حدودهِ بعد مقْتلِ « عامرٍ الثاني » فافتتحَ منْ « بلادِ بني طاهر » « التَّعكُرَ » و « قاهرَةَ تعز » و « حَرَازٍ » .

وحينئذٍ استقرَّ كثيرٌ منَ « الجراكسةِ » في «اليمنِ» ممَّنْ عملُوا تحتَ إمْرَةِ « الأميرِ حسين الكردي » في الأُسطول ، وأقاموا إمارةً صغيرةً في « زَبيدٍ » ، واستولى « برسباي » على تعزَّ » في ٦ صفر سنة ٩٢٣ هـ/ (١٥١٧ م) . واستمرَّ « برسباي » في حكم هذه الإمارة إلى أن وافاهُ أجلُه في « زبيد » في « جمادى الآخرة من سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) . وخلفَهُ أميرٌ جركسي آخرُ اسمه « إسكندر » .

وكانَ مِن شأنِ « السلطانِ سليمٍ » أنْ صدَّقَ أوَّلاً عَلى إمارة « الأميرِ حسين الكُردي » في « اليمَنِ » ثمَّ رجع عن تعيينهِ ، فأمرَ « أميرَ مكَّةَ الشريف بركات » بإعدامهِ للشَّكاوَى الخطيرَةِ الَّتي قُدِّمَتْ إليْهِ مِنْ ظُلْمهِ ، فأُخذَ مُقيَّداً إلى « جُدَّةَ » فَرُبطَ حَجَرٌ كَبيرٌ في رِجْلِهِ ، وَغُرِّقَ في « بَحْرِ جُدَّةَ » ، مُقَيَّداً بالأَصْفَادِ في مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : « أم السَّمَكِ » فأكَلَتْهُ الأسماكُ ، بعدَ أنْ قَتَلَ مَا شَاءَ اللهُ منَ العباد . وكان إعدامُهُ في سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) .

أمّا السلطانُ « سليم الأوَّل » فقدِ استمرَّ في الحكم إلى وفاتهِ في شوَّال سنة (٩٢٦ هـ = الموافق لـ ٢٢ ايلول ١٥٢٠) في طريقه إلى « أدْرَنَةَ » وخلفه ابنُهُ « سليمانُ الأوَّل » في ١٦ من شوال سنة (٩٢٦ هـ = الموافق لـ ٣٠ إيلول ١٥٢٠ م) وكان من شأنِ « السلطان سليمان » أن عزلَ « إسكندر » عن إمارة « اليمن » في سنة (٩٢٧ = ١٥٢٠) . وفي عهده وُلِّيَ «اليمن» رؤساءُ منَ « الأتْرَاك » عرفُوا باسم « رُوملي لَوَنْد » . وكان أوَّل هؤلاء الولاةِ « كَمال بك » سنة (٩٢٧ هـ ١٥٢١ م) فاستمرَّ في حُكمِ « اليمَنِ » حتى مصرعهِ عَلى أيدي جنودهِ سنة (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) فخلفه « إسكندر » في سنة (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) ثمَّ تلاهُ « حسين بك » سنة (٩٣١ هـ= ١٥٢٤ م) ، ثمَّ عقبهُ « الروملي مصطفى » في سنة (٩٣٥ هـ = ١٥٢٩ م)، ثم خلفه « سيد علي بك» لبضعةِ أشهرٍ في سنة (٩٣٥ هـ = ١٥٢٩ م) . وكانَ آخر الأمراء«اللَّوَند »[1] حكماً في « اليمن » « إسكندر » فامتدَّ حكمُه على مدى السنين (٩٣٧ ـ ٩٤٣ هـ = ١٥٣٠ ـ ١٥٣٦ م) ، ثمَّ ارتأى « السلطانُ سليمانُ الأوَّلُ » أنَّ من الحكمَةِ أنْ يعهدَ في حكم « اليمن » إلى وُلاةٍ من «العثمانيين» فاختار باديءَ بدءٍ « بهرام بك » ، وأصدر أمراً بتعيينهِ سنة (٩٤٣ هـ = ١٥٣٦ م) ، والحقيقَةُ فإنَّ حظَّ الولاةِ العثمانيِّينَ في حُكمِ « اليمنِ » لم يكن أفضلَ من سابقيهِمْ من أمراء « اللَّوَنْد »

(١) منَ الجُنْدِ « التُّرْكِ » ، وَهُمْ بَحَّارَةُ الأُسْطُولِ المُجَنَّدُونَ مِنَ « الأَنَاضُولِ » .

فَقَدْ عجزَ الولاةُ الذينَ اختارَهمْ « السلطانُ سليمانُ الأوّلُ » عن حسمِ الخِلافَاتِ بين « الأتْرَاكِ » أنفُسِهِمْ من « الإنكشاريةِ » الذينَ وَفَدُوا على « اليمنِ » من « مصرَ » ممَّنْ كَانُوا في جَيْش السلطان « سليمِ الأوّلِ » ودخلَ بهم « مصرَ » ولم يتمكّنوا أيضاً من حسمِ الفتنِ التي كانت تندلعُ في « اليمَنِ » من جانبٍ آخرَ .

ويَجدُرُ أن نذكُرَ هُنَا مَا كانَ يلقاهُ الوُلاةُ الأتراكُ منْ شقِّ الأنفُسِ في حُكمِ «اليمنِ» فالكثيرُ منْ مَشَاهيرِ الوُلاةِ « الأتْرَاكِ » مِمَّنْ عُرِفوا بالبأسِ وَحسنِ التَّدْبيرِ فَقَدُوا مراكزَهم وَنُحُّوا عن أعمالهم للإخفاقِ الذريعِ الذي كانوا يمنونَ به في حكمِ «اليمن»، وقليلٌ منهمْ مَنْ تمكّنَ من المحافظةِ على مركزه واعتباره .

ولقد أتاحَت الخلافاتُ بين الأتراكِ أنفسِهِمْ الفرْصَةَ الملائمةَ « للأئمّةِ الزَّيديِّينَ » لالتقاطِ الأنفاسِ ، ثمَّ الاستعداد لتدعيمِ مراكزِهم ، وتقويةِ معاقلهِم وقلاعِهم وحصونِهمْ التي كانت مبثوثةً في كُلِّ مكانٍ في الجِبَالِ اليمنيَّةِ ومرتفعاتِها . الأمرُ الذي سبَّبَ « للعثمانيِّينَ » أتعاباً كبيرةً حالَتْ دُونَ تثبيتِ قبضتِهم على «اليَمَنِ» وانتفاضتها عليهم أكثر من مرّة .

وحدث في عهد « السلطان سليمان الأول » مثل ما حدث في عهد « قانصوه الغوري » فقد استنجد « بهادرشاه » — سلطان « الكجرات » : « الهند » — الذي تسلطنَ في ٢٤ شوال سنة (٩٢٢ هـ = ١٥٢٦ م) — « بالسلطان سليمان الأول » طالباً عونَهُ لدَفعِ « البرُتُغاليِّينَ » عن بِلادِهِ ، فكَلَّفَ « السلطانُ سلَيْمَانُ » مَمْلُوكَهُ الأرنؤُوطِيَّ — « خَادِمَ سُلَيْمَانَ » — والي «مِصْرَ» وجعلَه « سَرْدَارَ عَسْكَرِهِ » المُجهّزِ إلى « الهِنْدِ » لدَفعِ ضَرَرِ «البرُتُغاليِّينَ» عنِ المُسْلمينَ ، واستيلائِهِم عَلَى « بَنَادِرِ الهِنْدِ » ثمَّ كثرَةَ أذاهُم « لِبنادِرِ اليمَنِ »ووصولهم إلى « بندر جُدَّةَ » وإلى « بَنَادِرِ السُّوَيْسِ » ، وعَاثُوا في البحرِ فساداً ، وأخذوا سَفاينَ الحُجَّاجِ والتجَّارِ غَصباً ، ونَهَبوا أمْوَالَ المسلمينَ وأنفسهم أسراً وقَتلاً ونهباً . وفتكهمْ بسلطانِ « كُجرَات » السعيد الشهيد « بهادرشاه » ، المقتول غدراً في الثالثِ منْ رمضانَ سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) على ظهر سفينة « برُتُغاليَّةٍ » أمام « ديو » .

وتجاوَبَ « السلطانُ سليمانُ الأوَّلُ » مع مطالبِ « بهادرشاه » فوَجَّهَ أمرَهُ إلى « خادمِ سُليمانَ » بالعوْدَةِ إلى « مِصرَ » . وأنْ يعمرَ ما يحتاجُ إليهِ مِنْ سفاينَ يركبُهَا مَعَ عَسكرٍ جرّارٍ

إلى « أرْضِ الهِندِ » ، ويقطع دابرَ الكُفّارِ ، وينظف تلكَ الأقطارِ منَ الكفرَةِ الفُجّارِ ، فَعمِلَ نحوَ سبعينَ غراباً ، وسفاينَ مسماريةً كبيرةً لحمْلِ الأثْقَالِ ورَتّبَ العساكرَ ، ثمَّ أقلعَ « خادمُ سليمان » عَلى رأسِ أسطولٍ كبيرٍ إلى « الهِنْدِ » .

وعند مرورِ الأسطول العثماني السليماني بالسواحلِ اليمَنيّةِ انحازَ قائدُ الأسطولِ « خادم سليمان » الذي اشتهرَ أمرُهُ بالظلمِ والغَدْرِ ، وَعَدَمِ الوفاءِ ، نحو « عَدَنَ » وأنزلَ قواتِهِ أمام « عَدَنَ » وقبضَ بحيلَةٍ على صاحبِ « عدَن » الأمير « عامر بن داود بن طاهر بن مَعُوضَةَ » وصَلَبَهُ على صاري السفينةِ سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) ومع أنَّ « عامرَ بنَ داود » فتح لقائد الأسطول « خادم سليمان » باب « عدن » ، وزيّنَ الأسواقَ بوصول العسكر المنصور السليماني ، فتكَ بِهِ وصلبَهُ . ويُعَدُّ هذا الفتحُ أوَّلَ فتحٍ عثمانيٍّ لليمَنِ .

وأقَامَ « خادمُ سليمان » سنجقاً في « عَدَنَ » وتركَ فيها حامية تحتَ رئاسَةِ « بهرامبك » .

ثُمَّ تابعَ « خادمُ سليمان » طريقَهُ إلى « الهِنْدِ » ثُمَّ قَفَلَ عائداً منها إلى « اليَمَنِ » من غيرِ أنْ ينالَ « كُفّارَ الهِنْدِ » منهُ ضَرَرٌ .

وكانَ « الأميرُ أحمد » ـ صاحِبُ « زَبِيدٍ » ـ إذْ ذَاكَ مِنْ جُمْلَةِ « اللَّوَنْدِ » الذينَ استولوا على تلك الديار ، فأعْطاهُ الأمَانَ ، وطلبَهُ إليْهِ ، وقتَلَهُ ، وولّى موضِعَهُ أميراً ممَّن كانوا معَــهُ .

ولَقَدْ سالمَ بعضُ الأئمَّةِ « الوُلاةَ الأتْرَاكَ » أحياناً ، إلاَّ أنَّ بعضَهم الآخر قد أبَى كُلَّ الإباءِ أن يخضعَ لهمْ ، بل على العكس فإنَّ بعضَ الأئمَّةِ جَاهدوا الولاة العثمانيِّينَ ما وَسِعَهمُ الجِهادُ ، وأقَضُّوا مضاجِعَهمْ حِفاظاً على استقلالهم وحريتهم ، وكانَ أكثَرَ الأئمَّةِ مقاومَةً « المطهَّرُ بن المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين » الذي عارَضَ أبَاهُ « المتوكل على الله » الذي أتينا على ذكرهِ ، وقبل بسياسة الملاينة مع « العثمانيين » . فقاومَ « المطهَّرُ » الحاكمَ العثمانيَّ وأعْلنَ استقلالَه سنة (٩٦٤ هـ / ١٥٥٦ م) وكذلك كان أولادُهُ منْ بعدِهِ .

ومِنْ كُلِّ ما تقَدَّمَ تبيَّنَ لنا أنَّهُ :

١ ـ احتدَمَ الصراعُ على السلطةِ بين الأسر اليمنيَّةِ المتنازعةِ على حُكمِ « اليَمَنِ » .

٢ ـ نشبت الفتنُ والاضطراباتُ القَبَلِيَّةُ والعصَبيَّةُ والمَذْهَبِيَّةُ .

٣ ـ تسلَّلَ «البرتغاليُّونَ» إلى السَّواحلِ اليمنيَّةِ » وَحاوَلُوا بسطَ نُفُوذِهِمْ عَلَى الموانىء التي تساعدُهم على حمايةِ الطَّريقِ إلى « الهنْدِ » وإقامةِ محطَّاتٍ وموانىء تكفل للأسطولَ البرتغالي تأمينَ حاجياته عند نشاط التوسُّعِ الاستعماري البرتغالي .

٤ ـ نزلت قواتُ الأسطولِ المملوكي المصري بقيادةِ « الأميرِ حسين الكردي » الذي وَجَّهَهُ « السلطان قانصوه الغوري » تلبيةً لمعونةِ « سلطان الكجرات » « مظفَّر شاه » في طريقهَا في « اليمن » ودخول « الجراكسة » إلى « اليمنِ » .

٥ ـ ظهرتْ طبقةٌ من « أمراءِ الجراكسةِ » على مسرح الأحداث في « اليمن » وسيطرَتْ على بعضِ المدُنِ ، وبدأ الحكم الجركسي في « اليمن » .

٦ ـ قهَرَ « الجَرَاكِسةُ » « اليمنيينَ » لتفوُّقِ « الجراكسةِ » عليهمْ باستعمالِ البنادِقِ والأسلحةِ الناريَّةِ التي لم يعهدْهَا اليمنيُّون في حرُوبِهِمْ السابقة .

٧ ـ اعترَفَ « أمرَاءُ الجراكِسةِ » « باليمَنِ » بالتَّبَعيَّةِ للسلطانِ العثمانيِّ بعدَ زوالِ وَسقوطِ الحكمِ المملوكي في « الشَّامِ » و « مصرَ » .

٨ ـ فتحَ العثمانيُّونَ « اليَمنَ » على يدِ « خادم سليمان » الفتْحَ الأوَّلَ لليمن ، وهو في طريقِهِ إلى « الهندِ » عند استنجادِ « سلطانِ كُجرات » « بهادر شاه » بالسلطان سليمان الأول » وَقيامِ « السلطان العثماني » بإنجادِهِ .

٩ ـ قام الأمراءُ اليمنيُّون المحليُّونَ بالدِّفاعِ عنْ بلادِهِمْ حِفاظاً على حرِّيَّاتِهم واستقلالهم ، واشتدَّتْ مقاومَةُ « الأئمَّةِ الزَّيديِّينَ » للأمراءِ الجراكسةِ أوَّلاً ثمَّ للعثمانيِّينَ ثانياً .

١٠ـ توالى الأمراء الأتراكُ على « اليمَنِ » واختلَفَ أمرَاؤُهُمْ فيما بينهم .

فهذه سماتُ العصرِ الذي عاصرَهُ « ابنُ الدَّيْبَع » صِراعٌ وَفِتَنٌ واضطرَاباتٌ داخليَّةٌ ، وغزْوٌ خارجيٌّ ، وتَطوُّرٌ في السِّلاحِ واستعمالاتِهِ ،فهذهِ العواملُ مجتمعَةً ، فتَّتَتْ « اليمنَ » داخِلياً « وجعلَتْهُ هدَفاً أمامَ أطماعِ المغيرينَ وَنهباً أمامَ المتسللينَ « البرتغاليِّينَ » .

ولقدْ أعطَت التَّضاريسُ الجبليَّةُ العاليةُ مَنَعةً لليمنِ ، ومنحَتْهُ القدرَةَ عَلى المقاوَمةِ ، وَحبتْه قلاعاً حصينةً لا تُرَامُ ، وَحصوناً منيعةً لا تُدرَك ، وَمعاقِلَ لا يستطيعُ أنْ ينالَها مُغيرٌ ، لذلك حافظتْ الأراضِي اليمنيَّةُ الدَّاخليَّةُ على استقْلالِهَا وَصَانَتْ حريةَ أبنائها ،

وَقد تورَّطَ « العثمانيُّونَ » في التوَغُّلِ في داخلِ « اليمَنِ » ، واضطرُّوا لافتتاحِ أراضيهِ المرَّةَ تِلْوَ المَرَّةِ ، إلاَّ أنَّ ذلكَ لَمْ يُجدِهِمْ بحالٍ ، فكانت « اليمنُ » مقبرَةَ « الأَنَاضُولِ » .

شَاهَدَ «ابنُ الدَّيْبَعِ »مَاكانَ يجري في«اليمنِ »منْ وقائعَفكَانَ شاهدَ الإثباتِ أمامَ التاريخِ،

فحفظ لنا في الخطبَةِ التي افتتحَ بها القسمَ الثاني من سيرتِهِ الشَّريفَةِ غاراتِ « البرتُغاليِّينَ » على «اليمنِ »ومُهَاجمَتَهُمْ للسفنِ اليمنيَّةِ والتجَّارِ،وَنَهبهمْ مَا علىالسُّفُنِ مِنحُمُولةٍ،وأسرَهُمُ التجَّارَ ، واستعبادهم لأحرارِ المسلمين ، وقتلهم النُّفُوس البريئة ، ولواذهم بالفرار ، فساء هذا المصيرُ المؤلمُ « ابنَ الدَّيْبَعِ » فثَارَحميَّةً لدينِ اللهِ ، ودعا للجِهَادِ عزَّةً للإسلامِ والمسلمينَ، وتلبيةً لصوْتِ المروءَةِ وَالشَّهامَةِ والنَّجْدَةِ ، وَاتَّخَذَ «ابنُ الدَّيبعِ» مِن هَذهِ الحوادثِ موضوعاً للخطبَةِ التي خاطَبَ بِهِ جَماهيرَ الشَّعْبِ اليمنيِّ المؤمنِ بدعوتِهِ للدِّفاعِ عن وطنِهِ .

ومن ذلك قال : « الجهادَ الجهادَ أيُّهَا المُؤْمِنونَ ! الجنَّةَ الجنَّةَ أيُّهَا المؤمنون ! وَقَاتلُوا دُونَ أنفسِكمْ وأموالِكمْ أعْداءَ اللهِ الفجَّارِ ، وارفعُوا عنْ أنفُسِكُمْ شُؤْمَ العارِ والنَّارِ ، فَقَدْ جَاؤوكُمْ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ بكُفْرِهِمْ ،وَيَسْتَأْصِلُونَ شأفَةَ الإسلامِ بمكْرِهِمْ، فَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ أكْبَرُ ، فَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ » .

سَخَّرَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » عِلْمَهُ وَقَلَمَهُ لِخِدْمَةِ المُجتمعِ اليَمَني رِضْوَاناً للهِ -تَعالى- وَرَسُولِهِ ، وحِفاظاً عَلى كَرَامَةِ بَنِي قَوْمِهِ ، وَوَفَاءً لِمَصْلَحَةِ بِلاَدِهِ . فَسَلَكَ طَرِيقَ الْعِلْمِ ، وَأَخَذَ فِي التَّصْنِيفِ والتَّألِيفِ ، فَأَلَّفَ فِي الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ ، وَالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالتَّارِيخِ وَفُنُونِهِ .

وَتَدُلُّ « مُؤَلَّفَاتُ « ابنِ الدَّيْبَعِ » الْحَدِيثِيَّةُ عَلَىٰ تَعَمُّقِهِ في عُلُومِ الْحَدِيثِ وَتَبَصُّرِهِ فِيهِ . وَقَدْ أَوْفَى « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي « كِتَابِهِ « تَيْسِير الْوُصُول إِلَى جَامِعِ الأُصُولِ ، مِنْ حَدِيثِ « الرَّسُولِ » - ﷺ - عَلَى القِمَّةِ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَحُسْنِ الاخْتِيَارِ وَالتَّقْدِيرِ . ومِثْل ذلكَ يُقَالُ في كِتابِهِ الآخَرِ « تَمْيِيزُ الطَّيِّبِ مِنَ الْخَبِيثِ فِيمَا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ مِنَ الْحَدِيثِ» . فَقَدْ مَحصَ كِتَابَ أُسْتَاذِهِ «الشَّمسِ السَّخَاوِيِّ » : « المَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّائرةِ عَلَى الأَلْسنة»

فَأَثْبَتَ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي كِتَابِهِ الشَّائِعَ مِنْ تِلْكَ الأَحَادِيثِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ لِتَقْرِيبِهِ لِلطَّالِبِينَ ، وَتَيْسِيرِهِ لِلرَّاغِبِينَ .

وَهَذَا الْعَمَلُ يَحْدُونَا إِلَى الْقَوْلِ أَنَّ « ابْنَ الدَّيْبَعِ » اخْتَارَ فِي كِتَابِهِ الأَوَّلِ رَوَائِعَ الأَحَادِيثِ الَّتِي يحتَوِي عليها كتاب « جامع الأصول » الحاوي لأَحاديثِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ ، فَمَحضَ زُبْدَةَ هَذِهِ الْكُتُبِ ، وَأَتَى بِالنَّافِعِ الْمُفِيدِ ، وَالشَّائِعِ النَّاجِعِ . وَشَذَّبَ فِي كِتَابِهِ الثَّانِي مَا لَيْسَ مِنَ الْحَدِيثِ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا مَا كَتَبَهُ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » فِي « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » فَقَدِ اخْتَارَ مَضْمُونَ مَوْضُوعَاتِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ مَقْرُوءاتِهِ فِي كُتُبِ « السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » فَأَوْرَدَهَا فِي كِتَابِهِ « حَدائقِ الأَنْوَارِ » فَجَاءَتْ سيرَتُهُ هَذِهِ نَقِيَّةً مِنَ الشَّوَائِبِ ، وَاضِحَةَ الْبَيَانِ ، مُشْرِقَةَ الأُسْلُوبِ، يَسْتَسِيغُهَا الذِّهْنُ وَتَسْتَرْوِحُ إِلَيْهَا النَّفْسُ ، وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ، وَيُقْبِلُ عَلَيْهَا أَيَّمَا إِقْبَالٍ .

ترجمة المؤلف

وبعدُ فلندخُل في رِحَابِ ترجمَةِ هَذَا الرَّجُلِ الذي يُعتَبَرُ مِنْ كِبارِ رِجالِ الحَديثِ في بِلادِهِ ، فَمَنْ هُوَ ابنُ الدَّيْبَعِ ؟

هُوَ الشيخُ الإمامُ ، العلامةُ ، الأوحَدُ ، المُحقِّقُ ، الفَهَّامَةُ ، مُحدِّثُ « اليَمَنِ » ومؤرِّخُها ، ومحيي علُومِ الأثَرِ بها وجيهُ الدِّينِ أبو الفرجِ (١) عبد الرحمن بن علي بن محمَّد ابن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني العبدري الزبيدي .

و « الدَّيْبَعُ » (٢) لَقَبٌ لجَدِّهِ الأعلى علي بن يوسف ، ومعناه بلغة « النوبة » : الأبيض .

مولده :

قال « ابنُ الديبع » في آخرِ كتابِهِ « بغية المستفيدِ بأخبارِ « زبيد » : كانَ مولدي بمدينةِ « زبيد » المحروسة في يومِ الخميسِ الرابع من محرَّم الحرام سنة (٨٦٦ هـ = ١٤٦١ م) في منزلِ وَالِدِي مِنها .

نشأته :

قَالَ : « وَغَابَ والدِي عن مدينة « زبيد » في آخرِ السنة التي وُلِدْتُ فيها ، وَلَمْ تَرَهُ عينِي قطُّ . ونشأتُ في حجْرِ جدِّي لأمِّي العلامة الصالح العارف باللهِ تعالى « شرف الدين أبي المَعروفِ إسماعيل بن محمد بن مبارز الشَّافعي » ، وانتفعتُ بدعائهِ لي ، وهُوَ الَّذي ربَّاني ، جزاهُ الله عنّي بالإحسان ، وقابله بالرحمةِ والرِّضوانِ .

نشأ « ابنُ الدَّيبع » في مدينةِ « زبيد » في كنفِ جَدِّهِ لأُمِّه ، فقدْ ترَكَهُ أبُوهُ في « زبيد » طفلاً صغيراً دونَ سِنِّ الفطامِ وسافرَ إلى « بلادِ الهِنْدِ » في طلبِ الرِّزْقِ . وفيها تُوفِّيَ

---

(١) جاءت كنيته في « شذرات الذهب » : ٨/٢٥٥ » : « أبو محمد » وفي « تاريخ آداب اللغة العربية : ٣/٣٢٨ » : « أبو عبد الله » .

(٢) ضبطه « قطب الدين الحنفي » في كتابه : : « البرق اليماني في الفتح العثماني » : « الدَّيبع » بفتح الدال المهملة ، ومعناه بلغة السودان : «الأبيض» . وضبطه محمد حامد الفقي ــ بِكَسْرِ الدال ــ » . انظر « تيسير الوصول : ١/ط ، ترجمة المؤلف : ــ والحاشية (١) ــ » .

أبوهُ سنةَ (٨٧٦ هـ = ١٤٧١ م) ، وليسَ « لابنِ الدَّيْبَعِ » منَ العُمُرِ سوى عشر سنين ، ولم يترك له والدُهُ منَ الميراثِ إلاَّ ثمانية دنانير ذهباً ، وتَولَّى جَدُّهُ لأُمِّهِ العنايةَ الفائقةَ بالطِّفْلِ ، وربَّاهُ التربيةَ الصَّالِحَةَ ، وَعلَّمَهُ العلمَ النَّافعَ المفيد .

ولمَّا توفي جَدُّهُ سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) تَوَلاَّهُ خالُهُ « جَمالُ الدين أبو النَّجا محمد الطيب بن إسماعيل بن محمد بن مبارز » فأحسن تربيتَهُ وتَهذِيبَهُ ، وأتْقَنَ تعليمَه ، واعتنى بِهِ العِنايَةَ المُجدية .

علومه وشيوخه :

حفِظَ « ابنُ الدَّيْبَع » « القُرآنَ الكريمَ » في « زَبِيد » . وتلاهُ بالسَّبْعِ إفْراداً وجَمْعاً عَلى الشيخ الفقيه « نور الدين علي بن أبي بكر حطاب » ، وعَلى خالِه العلاَّمة الفقيه فرضيِّ « زَبِيد » جمال الدين أبي النجا محمد الطيب ، الآنف الذكرِ ، و« الشَّاطِبِيَّة » و « الزبد » — « للبارزي » — وبعض « البهجة » ، وهو في العاشرةِ من عُمُرِهِ .

واشتَغلَ « ابنُ الدَّيْبَع » في علم الحساب ، والجبرِ والمُقَابلةِ ، والهندسةِ والفرائض والفقهِ والعربيةِ ، على خالِه المشار إليه .

وقرأ في الفقهِ « كتابَ الإمامِ شرفِ الدين البارزي » على « الشيخ تقي الدين عمر بن محمَّد الفنا بن معيبد الأشعريِّ » في سنة (٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م) .

واشتغَلَ في الفقه والعربيَّةِ على الفَقيهِ « إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن جعمان » .

ثمَّ صحِبَ العلاَّمَةَ المحدِّثَ زينَ الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي » وَأخذَ عليهِ علمَ الحديثِ ، وقرأ عليهِ « صحيحَي البُخاري ومسلم » و « سنن أبي دَاوُدَ » وَ«التِّرمذيّ» و « النَّسائي » و « الموطَّأ » و « الشِّفَا » و « عمل اليوم والليلة » — « لابنِ السُّنِّيّ » — و «الشمائل» « للتِّرمذِيِّ » — وغير ذلكَ منَ المؤلَّفاتِ والمُصَنَّفاتِ الكَثِيرَةِ .

ثُمَّ ارتحلَ « ابنُ الدَّيْبع » إلى « بيتِ الفقيهِ ابن عجيل » فأخذَ الفقهَ هناكَ على « جمال الدين محمد الطاهر بن جعمان » .

وَقَالَ « السَّخاويُّ » : « فقَرَأَ عَليَّ « بلوغَ المرام » وغيرَهُ » . وذُكِرَ أنَّهُ أَخذَ عَنْهُ في علم الحديثِ والمصطلح .

حَجُّــهُ :

قَال « السَّخَاوِيُّ » : « حَجَّ مراراً ، أولُهَا في سنة (٨٨٣ هـ =١٤٧٩ م) وأنْفَقَ في حَجِّهِ الدنانيرَ الثمانيةَ الّتي وَرِثَها عنْ أبيهِ » .

وحَجَّ الحجَّةَ الثَّانيةَ في سنة (٨٨٥ هـ = ١٤٨١ م) .

وحَجَّ الحجَّةَ الثَّالثةَ في سنة (٨٩٢ هـ = ١٤٨٧ م) .

مَكَانَةُ « ابن الديبع » :

قالَ « السَّخَاوِيُّ » في « الضَّوْءِ اللاَّمِـعِ : ١٠٥/٤ » في ترجمتِهِ : « وهُوَ فاضِلٌ ، يَقِظٌ رَاغِبٌ في التَّحصيلِ والاستفادةِ ، نفعَ اللهُ بِهِ » .

وقالَ « العيدروس » – صاحِبُ : « النُّور السَّافر في أعيان القرن العاشر » – : « شيخُ الإسلام عَلاَّمَةُ الأنام ، الجِهْبِذُ الإمام ، مُسْند الدُّنيا ، أمير المؤمنين في حَديثِ سيِّدِ المُرسَلِينَ ، خاتمةُ المحقِّقِين ، مُلحِقُ الأواخرِ بالأوائل ، أخذَ عمَّنْ لا يُحصى ، وأخَذَ عنهُ الأكابِرُ كالعَلاَّمَةِ « ابن زيادِ » ، و « السيدُ الحافظُ الطَّاهر بن حسين الأهدل » و « الشيخُ أحمد بن علي المزجاجي » وغيرُهم » (١) .

« وكانَ ثقةً ، صالحاً ، حافظاً للأخبَارِ والآثَارِ ، متواضعاً ، انتهتْ إليْهِ رئاسةُ الرحلة في علم الحديث ، وقصدَهُ الطَّلبةُ مِنْ نواحي الأرْضِ » (٢) .

وقال « الشوكانيُّ » في « البدرِ الطَّالِعِ : ٣٣٦/١ » : « وله شهرَةٌ في « اليمنِ » طائلة » .

وجعلَ له « السلطانُ صلاحُ الدِّين الملكُ الظافر عامر بن عبد الوهَّاب بن داود بن طاهر بن مَعُوضة » قراءة الحديث بمسجد « زَبِيد » .

وأجازَ لمن أدركَ حياته أنْ يرويَ عنهُ » (٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) : « شذرات الذهب : ٢٥٥/٨ » .

مؤلفات « ابن الديبع » وتصانيفه :

أ – مصنَّفاتُهُ في الحديثِ وعُلومِهِ :

بَرَعَ « ابنُ الدَّيْبَع » في علوم « القرآنِ الكريم » والحديثِ وأصوله ، والتاريخ ، فاشتَهرَ ذِكْرُهُ ، وبَعُدَ صيتُهُ ، فصنَّفَ في بعضِها التصانيفَ الحِسانَ ، وقدْ عُرِفَ من تصانيفِهِ :

١ً – « تَيسير الوصول إلى جامع الأصول » اختصره اختصاراً حسناً من كتاب « جامع الأصول » « لابن الأثير الجزريّ » وتداوله الطلبة وَانْتَفَعُوا بِهِ . وطبع هذا الكتاب في « القاهرة » مراراً » .

وقال « ابنُ الدَّيبع » في كتابه هذا :

« كتابي « تيسيرُ الوُصُولِ » الذي حَوَى أُصُولَ الحديثِ السِّتِّ عَزَّ نَظِيرُهُ
فَمَنْ بِمَعَانيهِ اعْتَنَى وَدُرُوسِهِ وَتَحْصِيلِهِ اسْتَغْنَى وَدامَ سُرُورُهُ

٢ً – « تمييزُ الطيِّبِ منَ الخبيثِ ممَّا يدُورُ على ألسنَةِ النَّاسِ من الحديثِ » في تجريد « المقاصدِ الحسنة » « للسَّخَاوِيِّ » . وقد طبع هذا الكتاب في « القاهرة » و « دمشق » .

٣ً – « غايةُ المطلوب وأعظم المنَّة فيما يغفر اللهُ تعالى به الذنوب ويوجبُ الجنَّة » .

٤ً – « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة » .

٥ً – « مصباح المشكاة » .

ب – مؤلفات « ابن الدَّيبع » التاريخية :

١ً – « بغيةُ المستفيد في أخبارِ مدينة « زبيد » : هو مطوَّل مرتب على السنين في تاريخ مدينة « زبيد » أرَّخ فيهِ « ابنُ الدَّيْبع » للأسر التي حكمت « زبيد » حتى عصرِهِ ، نقل فيه عن مؤرِّخي « اليمن » – كـ « عمارة اليمني » و « الجندي » و « الخزرجي » و « ابن عبد المجيد القُرَشي » النَّسَّابة ، و « شرف الدين ابن المقرىء » وغيرهم .

قال : « إنَّه لم يجد بين المؤرِّخين مَن أفردَ تاريخاً لأئمة اليمن وملوكها و « بني طاهر » فألَّفَ كتابَه هذا ورتَّبه على مقدِّمةٍ وعشرة أبوابٍ :

المقـدمـة : في فضل « اليمن » وأهله .

الباب الأول : في ذكر مدينة « زبيد » .

الباب الثاني : في « بنَي زياد » .

الباب الثالث : في دولة « بنَي نجاح » .

الباب الرابع : في وزارة « آل نجاح » .

الباب الخامس : في دولة « بني مهدي » .

الباب السادس : في دولة « بني أيوب » .

الباب السابع : في « بني رسولٍ » .

الباب الثامن : في « عليٍّ الطَّاهريِّ » .

الباب التاسع : في ابنه « عبد الوهاب » .

الباب العاشر : في ابنـه « محمد » .

لهُ نسخٌ متعدِّدةٌ منهـا :

أ — في مكتبة « المدينة المنورة » .

ب — في « الأمبروزيانا » .

ج — في « دار الكتب المصرية » .

٢ — « الفَصْلُ المزيد على بغية المستفيد » .

جعله ذيلاً على كتابه « بغية المستفيد في أخبار مدينة « زبيد » .

أرَّخ فيه من سنة (٩٠١ هـ — ٩٢٣ هـ = ١٤٩٥ — ١٥١٧ م) ، وهو تاريخ فتح السلطان سليم « للشام » و « مصر » مرتباً على السنين ، توجد منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم : (١١) « بدار الكتب المصرية » وأخرى بـ « مكتبة رضا رامبور في الهند » — تاريخ نسخها (١٠١٤ هـ) .

وختَم كتابه السابق بأرجوزة سماها : :

٣ — « أحسن السلوك في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك » .

منظومة في « تاريخ « مدينة زبيد » إلى سنة (٩٢٣ هـ) .

لها نسخ متعددة .

أ ـ مخطوطة سنة (١٢٥٠) هـ / « بدار الكتب المصرية » رقم : (١١) .

ب ـ نسخة مخطوطة « بمكتبة الحبشي » .

وقد نقل الكتاب «بغية المستفيد» و « الفَصل المزيد » و « أحسن السلوك » إلى اللاتينية وطبع في « بون » عام ١٨٢٨ م .

٤ ـ قرة العيون في أخبار « اليمن » الميمون » .

رتبه على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في ذكر اليمن وفي ملك « صنعاء » و « عدن » .

الباب الثاني : في ذكرِ مدينة « زبيد » وأمرائها وملوكها .

الباب الثالث : في ذكر « الدولة الطاهرية » .

أ ـ توجد منه نسخة مخطوطة سنة (١٠٠٣ هـ) برقم (١٣٥٥) .

في«دار الكتب المصرية » .

ب ـ نسخة أخرى بمكتبة«المتحف البريطاني» .

جـ ـ نسخة في « المتحف العراقي » برقم (١٧٦٠) .

٥ ـ « العقد الباهر في تاريخ دولة « بني طاهر » .

ضمنه « ابن الديبع » تاريخ « الدولة الطاهرية » . أخذه من كتابه : « بغية المستفيد » وأكرمه « الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب»لأجله غاية الإكرام .

٦ ـ « تاريخ الدولتين الطاهرية والناصرية » .

٧ ـ « تحفة الزمن بفضائل « اليمن » يشتمل على أحاديث وآيات .

٨ ـ « فضلُ « اليمن » وأهله » .

مختصر في فضائل « اليمن » . توجد نسخة منه بمكتبة « الأمبروزيانا » .

٩ ـ « مختصر طبقات « الملك الأشرف الرسولي » .

١٠ ـ « نشر المحاسن اليمانية في خصائص « اليمن » ونسب القحطانية » .

« نسخة مخطوطة سنة (٩٢٨ هـ) في ٣٤ ورقة ، بـ«المكتبة الظاهرية» بـ«دمشق » .

وأورد « ابن العماد الحنبلي » في كتابه « شذرات الذهب : ٢٥٦/٨ » من مصنفاته :

١١ — المعراج .

١٢ — « مولد شريف نبوي » .

هذا ما وجدتُهُ من كتبِهِ وَلَمْ أَجِدْ أحداً مِمَّن ترجمَهُ قد ذكرَ كتاب سيرته « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار » ، ولعلّ هذا الكتاب قد غفل عن ذكره مترجمُوه أو لم يشتهر أمرُه ؛ ويدُلُّ مضمُونُ الكتابِ ونهجُهُ على أنَّ هذا الكتابَ من تصنيف محدث ، له في فنِّ الحديثِ باعٌ طويلٌ ، فمختاراتُهُ الحديثيَّةُ تذكِّرُ بالصِّلَةِ الَّتي تجمَعُ بين « سيرَةِ « ابنِ الدَّيْبَعِ » هذهِ ، وكتابِهِ « تيسير الوُصُولِ » ، ونرجو منَ اللهِ أنْ يُوَفِّقَنَا لجمعِ معلوماتٍ تُفيدُنَا أكثرَ في تَوْثيقِ هَذهِ السِّيرَةِ وَصِلَتِهَا « بابن الدَّيْبع » في المستقبل ، ممَّا سيجتمعُ إلَيْنَا منْ آراء القراء الكرام الّتي نأمَلُ أنْ يُوَافُونَا بِهَا . وبما سَنَتَوَصَّلُ إليهِ فِي المُسْتَقْبَلِ إن شَاءَ اللهُ إنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

وفاته :

ولم يزلْ «ابنُ الدَّيْبع» عَلى الإفادَةِ وملازمَتِه بيتَهُ ومسجِدَه بتدريسِ الحديثِ والعبادة ، واشتغاله بخويصتهِ عمَّا لا يعنيهِ حتى كانت وفاتُه ، وانتقل إلى رحمتِهِ تعالى بمدينةِ « زَبِيد » يوم الجمعة السادس أو السابع والعشرين من شهر رجب سنة (٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) وصُلِّيَ عليْهِ في « جامع الأشاعرة » ودفن بتربة « باب سِهَام » عند « قبة الشيخ إسماعيل الجبرتي » .

وخلفه ولده « عليٌّ » يقرأ الحديثَ عوضه في « جامع زبيد الكبير » — رحمه اللهُ تعالى — .

مخطوطات المجمـــوع

اعتمدْتُ في تحقيقِ هذا الكتابِ على نسخةٍ فريدةٍ ، تقعُ في حوزتي ، فاتخذْتُها أصلاً ، وجعلْتُ مدارَ عملي قائماً عليها في التحقيقِ ، وترقيمِ الصفحات .

تقعُ هذه السيرةُ الكريمةُ ضمنَ مجموعٍ يتألّفُ منْ (١٣٩) ورقة ، ويضمُّ الكتبَ التالية :

أولاً : « تَمْييزُ الطَّيِّبِ مِنَ الْخَبيثِ فِيمَا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ مِنَ الحَدِيث» وهُوَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ » الشَّهِيرَةِ ، وهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ ، اخْتَصَرَهُ « ابْنُ الدَّيْبَعِ » مِنْ كِتَابِ : « الْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّائِرَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ » تصنيف الناقد الحُجَّةِ « أَبِي الخَيْرِ شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن بن محمَّد السَّخَاوِيِّ القَاهِرِيِّ » شيخ « ابن الدَّيْبَعِ الشَّيْبانيِّ » ،

ويَستغرقُ كتابُ « تمييزِ الطَّيِّبِ » الأوراقَ (١ — ٤٩) .

ثانياً : « حَدَائِقُ الأَنْوَارِ وَمَطَالِعُ الأَسْرَارِ فِي سِيرَةِ « النَّبِيِّ » المُخْتَارِ » — ﷺ — وَهُوَ منْ مؤلَّفَاتِ « ابْنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَانِيِّ » .

ثالثاً : وقَعَ في الورقَة (١٣٦) والأسطر الستَّة الأولى من لاحقتها نَقْلٌ ، جاء فيه : وَمِنْ لطائِفِ مَا نَقَلَهُ « القُرْطُبِيُّ » في « الأعلام » أنَّ الأنصارَ الذِينَ نَاصَرُوا « النَّبِيَّ » — ﷺ — كانوا مِنْ أَوْلادِ العلماء الَّذِينَ كانُوا مع تُبَّعٍ الأكبر » فيما ذكرَهُ « ابنُ إسحاقَ » . ثُمَّ تَحَدَّثَ عن خُرُوجِهِ مِنَ «اليَمن» وانتهائِهِ إلى « مَكَّةَ » ثُمَّ عزمه على هدمِ « الكعبَةِ » . . . الخ . ثُمَّ رجوعه عن عزمِهِ وكسوته الكعبة . . . . الخ .

رابعاً : رسالة « الْكَشْفُ عَنْ مُجَاوَزَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ الأَلْفَ » : وهِيَ رِسالَةٌ صغيرَةٌ مِنْ تصنيفِ « الشيخ جلال الدِّين السيوطي وتستغرِقُ هذِهِ الرسالة الأوْرَاقَ (١٣٧—١٣٩) وَفي ختَامِ هذِهِ الرسالةِ ينتهي المجموع .

وصف نسخة « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار »

« عنوان الكتـــاب »	: « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله المصطفين الأخيار » .
« المؤلف »	: « وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الدّيبـــع الشيباني الشافعي » . المتوفّى سنة : (٩٤٤هـ) = (١٥٣٧م).
« عدد الأوراق »	: (٨٦) ورقة ــ تبتدىء بالورقة (٥٠) وتنتهي بالورقة (١٣٥)
« قياس الورقـة »	: (٢١ سم × ١٥ سم) .
« مسطرة الورقـة »	: (٢٩) سطراً .
« متوسط عدد الكلمات في السطر »	: حوالي (١٢) كلمة .
« نوع الخط »	: « خط النسخ » .
« اسم النـاسخ »	: « علي بن عبد الناصر المصري » .
« تاريخ ومكان النسخ »	: « نهار الإثنين في الثاني والعشرين من محرم الحرام من ســـنة (٩٣٨ هـ) في البلد الحرام .

ملاحظاتي على هذه النسخة :

أ ــ « عنوان الكتاب » معلق بخط الثلث الجميل . وأرجح أنّ هذه العنونة مستحدثة يعـود تاريخ كتابتها إلى زمن متأخر عن زمن نسخهـا .

ب ــ ترك الناسخ في خطبة تقديم الكتاب في ظهر الورقة (٥١) بياضاً في ثلاثة مواضع .

الموضع الأوّل بعد قوله : « ناقلاً ذلك عن كتب الحديث المعتمدة ، ليكون كتاباً جامعاً للحضرتين ، شافعاً للجامع بين السيرتين . . . . زاد الله مما آتاه من الملك والحكمة وعلمه مما يشاء :

الموضع الثاني بعد قوله : فوسمت باسمه هذا الكتاب الكريم ، ورسمته برسمه ، ﴿ وَإِنَّـهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فسميته بصيرة (هكذا) الحضرة . . . . النبوية ، متوسلاً إلى اللهِ ـ تَعَالَى ـ بصاحب الحضرة النبوية خير الأنَامِ .

الموضع الثالث بعد قوله ـ لاحقاً لسابقه ـ « عليه أفضل الصلاة والسلام . . . . قواعد الإسلام ، وأن يعمر ويغمر بِوُجُودِهِ وَجُودِهِ البلاد والعباد » .

فالبياض في الموضع الأول أخفى عنا معرفة الملك الذي قدم إليه « ابن الديبع » هذا الكتاب ووسمه باسمه ورسمه برسمه .

والبياض في الموضع الثاني حجب عنا معرفة اسم الكتاب على وجه التحقيق والتأكيد .

والبياض في الموضع الثالث فَوَّتَ علينا فرصة معرفة تتمة الدعاء الذي ابتدأ به ابن الديبع ، ولم نظفر بتتمّته وأبعد عنا معرفة ما كان يتوخاه من مرجوه أو ما كان مطلبه منه .

جـ ـ الكتاب كامل تام لا نقص في أوراقه .

د ـ حرص الناسخ على التعقيب بين الصفحات ، على عادة النساخ ، فكان الناسخ يثبت في منتهى كل ورقة الكلمة التي يَبتدىء بها النص في الورقة اللاحقة بها ، وذلك بكتابتها في الزاوية الأنسية اليمنى من كل ورقة ، وهكذا دواليك حتى منتهى الكتاب .

هـ ـ أرجح أنّ ترقيم المجموع جاء في زمن متأخر ، ولذلك فلا اعتبار له ، ولا فائدة ترجى منه بعد وجود التعقيب بين الصفحات .

و ـ تَعَرَّضَ هذا المجموع لعمل الأرضة فأحدثت فيه ثقوباً اخترقت المجموع من الغلافِ إلى الغلاف ، وأحدثت فيه ضرراً بالغاً ، وأتت على بعض الكلمات فاقتطعتها ، ولقد قمنا بتثبيتِ هذه الكلمات على النحو الصحيح . مستفيدين من قرائن النص .

خصائصُ الرسمِ الإملائيِّ في مخطوطة « حدائق الأنوارِ »

اتَّبَعَ ناسخُ مخطوطَة « حدائق الأنوارِ » قواعدَ الرسمِ الإملائيِّ المتعارَفِ عليْها بينَ أبناء عصرِه . وهذه القواعدُ تختلفُ اختلافاً يسيراً عن القواعدِ الّتي نجري عليها في زَمانِنا هـذا ، وَلِذا عَمَدْنا إلى اتِّباعِ القَوَاعِدِ الإملائيَّةِ السَّائِدة في زمانِنا، ولِلأمانَةِ العلميَّةِ سنأتِي ببعضِ تلكَ الخصائصِ الّتي استخْدَمهَا النَّاسخُ في نسْخِ هذهِ السِّيرَةِ المباركَة لِنَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا :

١ً — الهَمْزَةُ في أوَّلِ الكلمةِ : تحلَّلَ النَّاسِخُ مِنْ رَسْمِ همزَةِ الألِفِ في أوَّلِ الكلمةِ إطلاقاً ، سواءٌ كَانَتْ تُرسَمُ فوقَ الألِفِ أو تحتها .

٢ً — الهمْزَةُ في وسط الكلمة : اتَّبعَ الناسخُ أسلوبَ التسهيلِ في رَسْمِ الهمزةِ في وَسَطِ الكلمةِ واكْتَفَى برسمِ الحرفِ الذي يناسبها في التسهيلِ دونَ أن يعمدَ إلى تثبيتِ الهمزَةِ عليهِ .

٣ً — الهمزة في آخرِ الكلمة : أهمل الناسخ رسم الهمزة في آخر الكلمة في جميع الحالات حيثما وردت .

٤ً — المد : أعفى الناسخُ نفسَه من رسم المد في أوَّل الكلمة وفي وسطها وحيثما وُجد .

٥ً — التنوين : أهملَ النَّاسخُ رسمَ التنوين في حالاتِه الثلاث نصباً ورفعاً وجراً .

٦ً — الألفُ اللَّيِّنةُ والألِفُ المقصورةُ : اضطرب الناسخُ في رسمهِما اضطراباً لا قاعدةَ له فيهِما ولا ضابط ، فكثيراً ما رسم الألف المقصورة ممدودَةً ، والممدودةَ مقصورةً ، وقد جرينا في رسمهما على ما هو الصوابُ في ذلك .

٧ً — حذفُ الألفِ : حَذَفَ النَّاسخُ رسمَ الألفِ من الأسماء الأعجميَّةِ الكثيرَةِ الاستعمال وَغيرِ الأعجميَّةِ كـ : « إبراهيم » و « إسماعيل » و « الحارث » و « عثمان » و « معاوية » ؛ وحذفها أيضاً في كتابة الأعداد كـ : « ثمانية » و « ثلاث عَشرة » و « ثلاثمائة » وفي بعض الأسماء كـ « ملائكة » و « القيامة » و « الكتاب » .

٨ً — زيادةُ الألف : جرى الناسخ على زيادة رسم الألف في مثل : « بنوا قريظة » و « أولوا الْعَزْمِ » و « يدعوا » الخ . . .

٩ً – قلب كتابة بعض الحروف : عمدَ الناسخُ إلى قلب كتابة الظاء إلى ضاد في بعض الأسماء فكان يكتب « قريضة » بدلاً عن « قريظة » وجرى أيضاً على قلبِ كتابة السين إلى صادٍ في بعضِ الأسماء فكان يكتب « صرة » عوضاً عن « سرة » و « صيرة » عوضاً عن « سيرة » ولا شك في أنّ ذلك من الخطأ الذي كان يقع فيه الناسخ أحياناً .

١٠ – إعجامُ الحروفِ وإهمالها : تحلّلَ الناسخُ من إعجامِ بعض الحرُوفِ المعجمةِ ثقةً منه بفطنةِ القارىء في مثل : « رمرم » يريد « زمزم » ، وعمدَ أيضاً إلى إعجامِ الألفِ المقصورةِ في مثل « إلي » و « علي » و « سعي » . والأصح عدم إعجامها .

ونكتفي ببيانِ هذا القدر من خصائص الناسخ التي سار عليها في كتابة هذه السيرة تجنباً للإطالة.

◎ ◎ ◎

عملنا في تحقيق كتاب « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار »

اتبعنا في تحقيق هذه السيرة المباركة المنهج التالي :

١ ـ كان مدارُ عملنا في تحقيق هذه السيرةِ المباركة على نسخةٍ فريدةٍ في حوزتي ، فأثبتنا نصَّها ، ولم نبدل فيه إلاَّ ما ظهر لنا فيه التصحيف أو التحريف ، أو الخطأ ، فأبدلنا ذلك بالصواب ، وأشرنا في الهامش إلى ما كان عليه الأصل .

٢ ـ قمنا بضبط النص وشكله بالشكل الكامل .

٣ ـ عارضنا نصوصَ هذه المخطوطة على أصولها ، والنقول على مصادرها ، والأشعار على دواوينها أو مظانّها ما أمكننا ذلك .

٤ ـ خرَّجنا الآيات الكريمة وبينا مواقعها من السور ، وأشرنا إلى رقم السورة ورقم الآية فيها ، وبينا ما هو مكي منها وما هو مدني .

٥ ـ خرَّجنا الأحاديث الشريفة على أصولها ، وأشرنا إلى مصادرها في الصحاح وغيرها ما أمكننا ذلك .

٦ ـ شرحنا معاني المفردات اللغوية الغامضة التي تحتاج إلى شرح وأثبتنا الشرح في الهوامش .

٧ ـ عمدنا إلى الفصل بين الموضوعات المتلاحقة ، فوضعنا عنواناً لكل موضوع استوحيناه من النص وميزناه بوضعه ضمن قوسين مُجنَّحتين وأثبتنا العنوان بالحرف الأسود للتفريق بينه وبين نص المؤلف .

٨ ـ عمدنا إلى التعريف بالأعلام والجماعات والأماكن والبلدان والأيام والمعارك ، التي تحتاج إلى تعريف في نطاق الفهارس العامة الملحقة بآخر الكتاب .

٩ ـ استعنا ببعض الرسوم والخرائط وجداول الأنساب المقتبسة عن كتاب « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » من تأليف « الدكتور محمد حميد الله » ، و كتاب « الرسول العربي وفن الحرب » من تأليف « العماد مصطفى طلاس » ، و كتاب « حياة محمد »

من تأليف الدكتور « محمد حسين هيكل » ، وقد نوَّهنا بذلك عند الاستفادة من كل كتابٍ .

١٠ ــ وضعنا الفهارس التالية للكتـاب :

١ ــ فهرس الأعلام .

٢ ــ فهرس الأمم والشعوب والقبائل والجماعات .

٣ ــ فهرس البلدان والأماكن والمواقع والجبال والأنهار .

٤ ــ فهرس الغزوات والبعوث .

٥ ــ فهرس الآيات الكريمـة .

٦ ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

٧ ــ فهرس الشعر .

٨ ــ فهرس المصطلحات العَقَدِيّة أو الدينيّة .

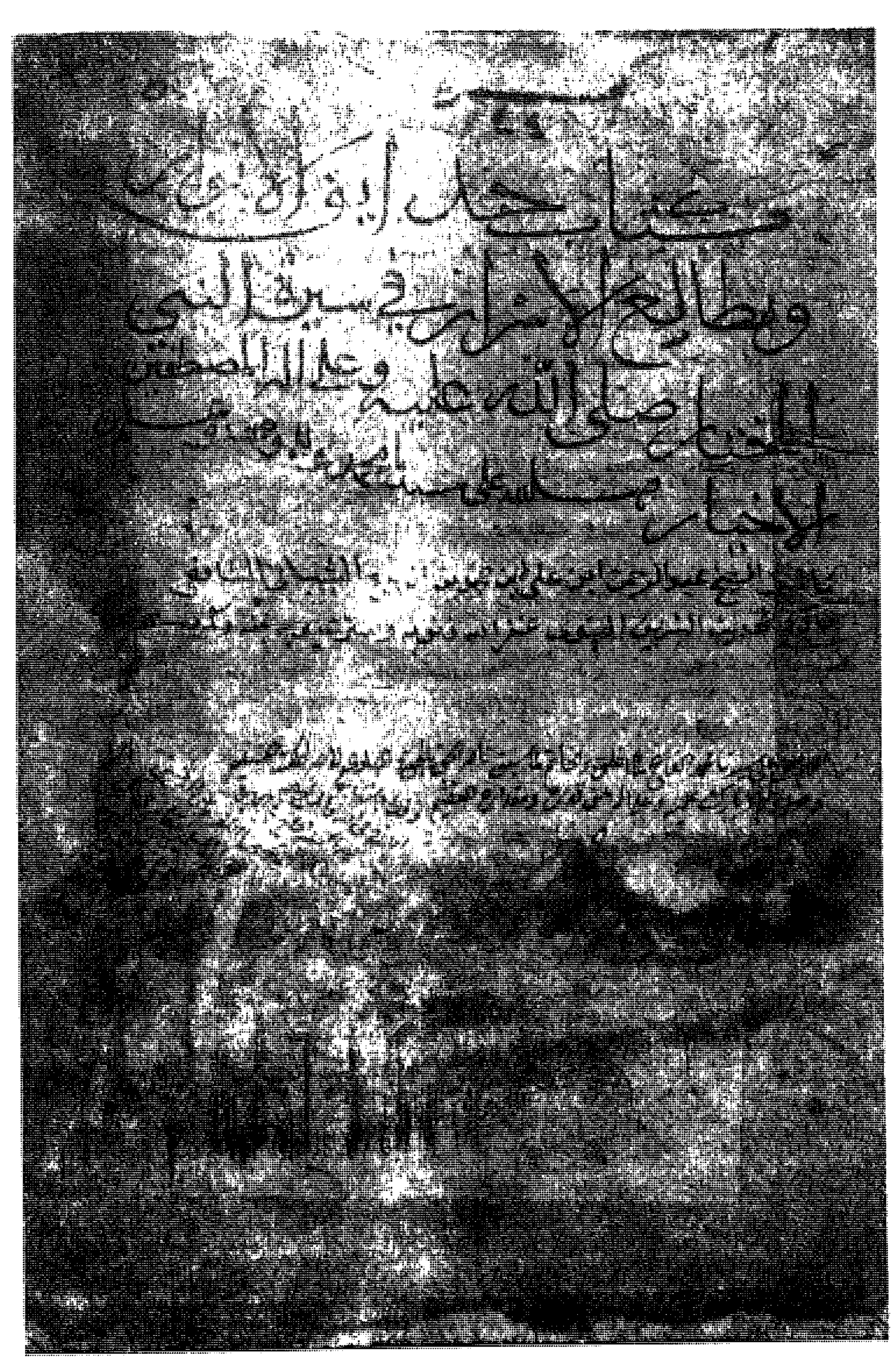
٩ ــ فهرس مصادر التحقيق ومراجعه .

١٠ ــ فهرس الموضوعـات .

الرموز والأقواس

استعملت في التحقيق الرموز والأقواس والإشارات المبينة أدناه :

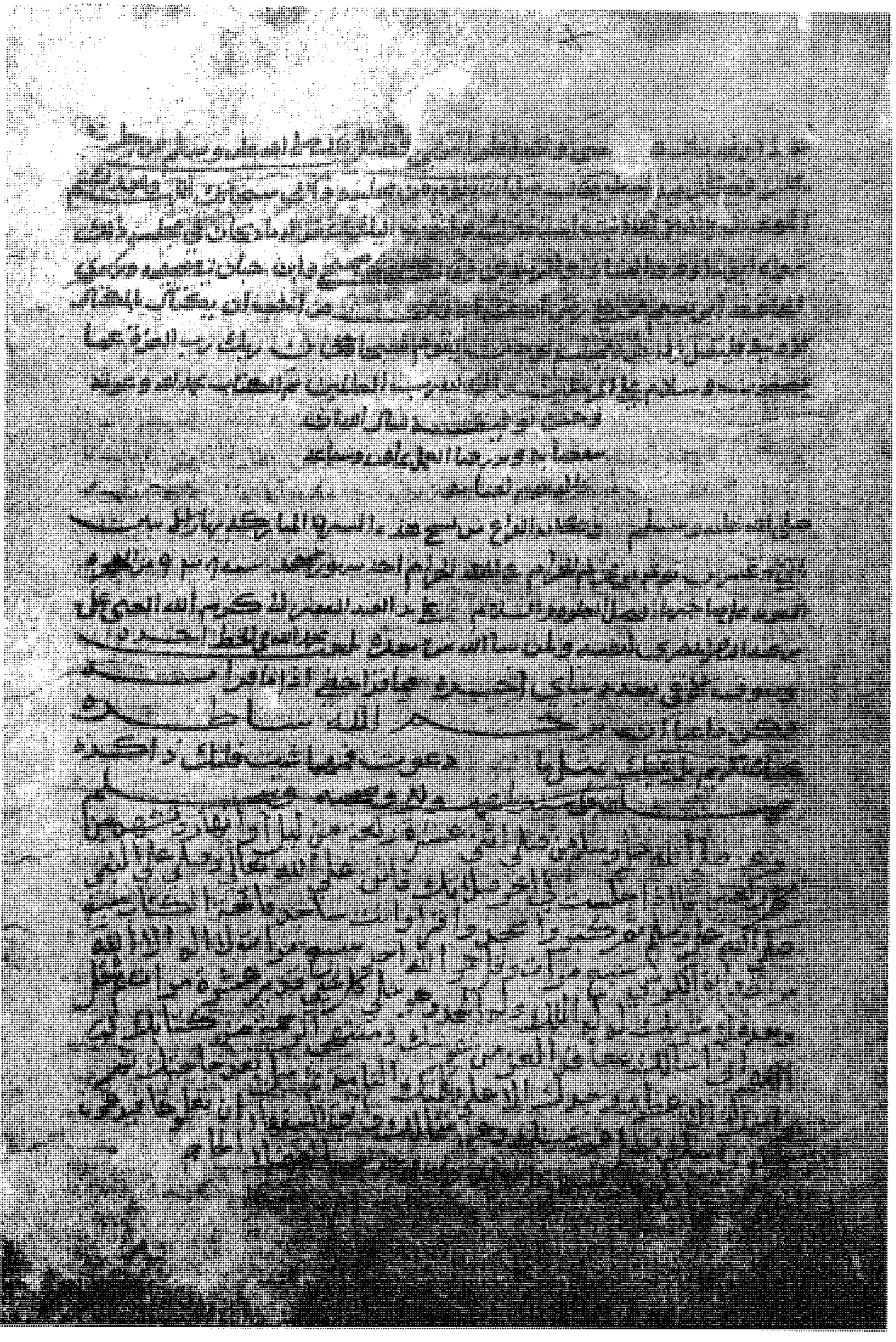
الأصل	: تشير إلى المخطوطة المعتمدة في التحقيق .
ص	: تشير إلى الصفحة .
ط	: تشير للكتاب المطبوع .
خ	: تشير للكتاب المخطوط
ك	: — في تخريج الآيات القرآنية — تدل على أن الآية مكية .
م	: — في تخريج الآيات القرآنية — تدل على أن الآية مدنية .
ح	: — تعني « الحاشية » — .
/	: الخط المائل في متن النص تشير للفصل بين صفحات الأصل .
[و] — [ظ]	: في الهامش ، مشفوعتان برقم الورقة للدلالة على رقم الصحيفة في المخطوطة وجهاً أو ظهراً .
م	: مشفوعةً بترقيم صفحات المقدمة
﴿ ﴾	: القوسان المزهرتان تحصران الآيات القرآنية الكريمة .
[ ]	: القوسان المربعتان أو المعقوفتان تحصران الإضافات المزادة على النص .
—( )—	: القوسان المجنحتان تحصران ما أدخل على النص من عناوين .
« »	: علامات التنصيص تحصر الأقوال والنقول وأسماء الكتب ومختلف الأعلام .
— —	: المعترضتان تحصران الجمل الاعتراضية .
(؟ كذا)	: تَلْحَقُ ما لم نهتد إلى فهمه أو قراءته .
. . . .	: النقاط المتوالية تدل على البياض في الأصل أو للإشارة على اختصار في النص



راموز صفحة العنوان من السيرة



راموز الصفحة الثانية من السيرة



راموز الصفحة الأخيرة من المخطوط